

كنشياسية

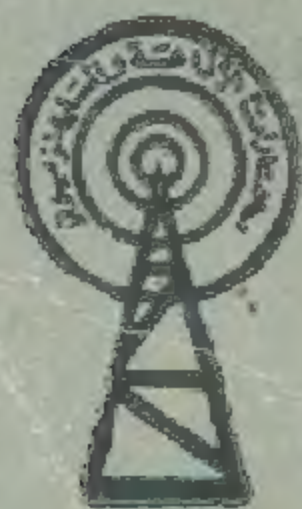
مجموعة عربية ١٠٠٪



(٢٤٣)

إيرادات وحمية التاريخ

تأليف: جاد طاص



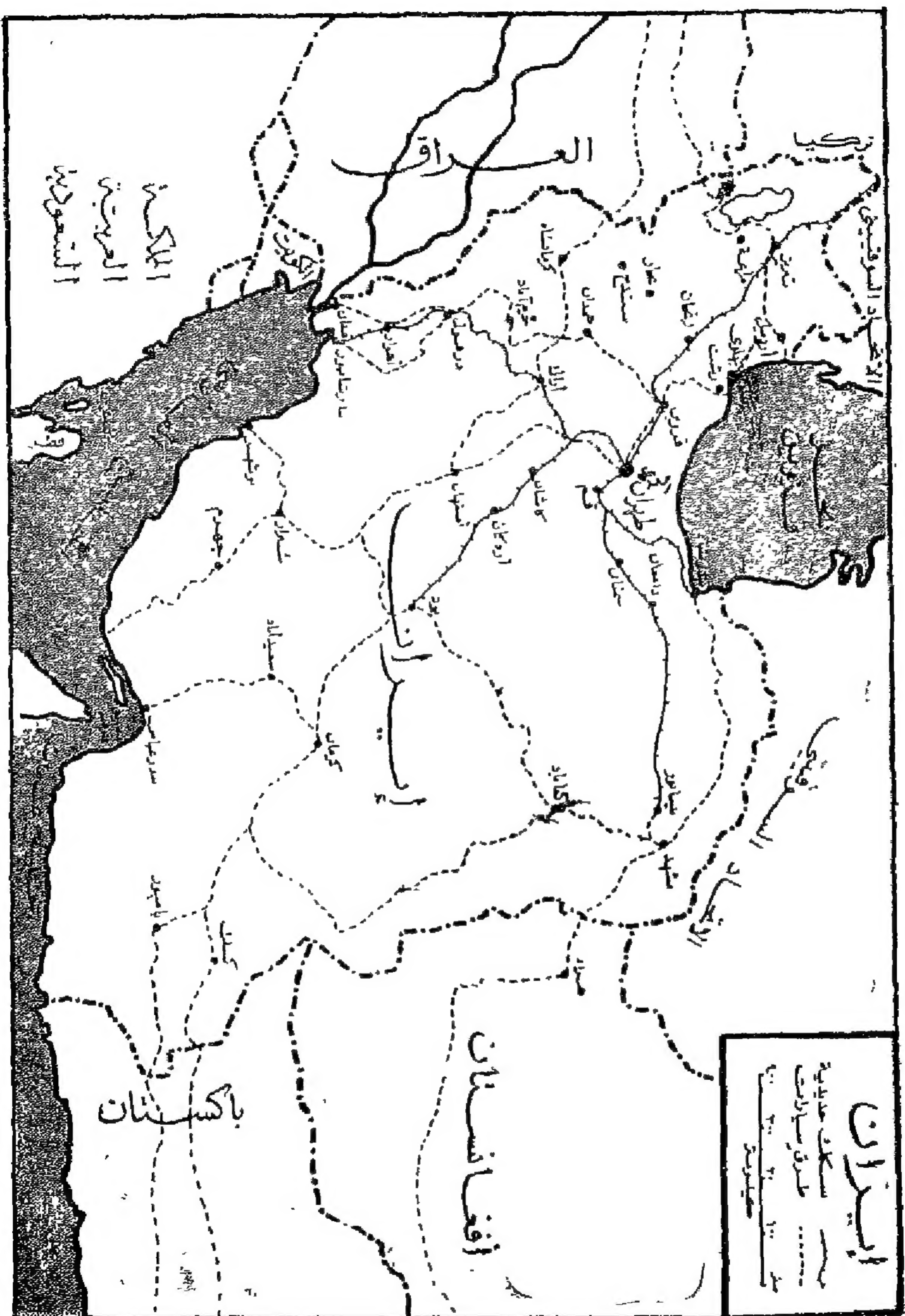
کتاب

سیاسی

ایران و حتمية الخارج



تأليف : جاد طاه



مقدمة

لقد كانت ايران تسمى ((فارس)) قبل عام ١٩٣٥ ،
الا اننى فى هذا الكتاب ساقصر على كلمة ايران منعا
للخلط بين الكلمتين . وقد حاولت فى هذا الكتاب ان
لقى بعض الاضواء على ايران ، البلد الاسلامى
العريق ، فى الفصل الاول تكلمت عن المعالم الجغرافية
والسكان ، وبينت كيف ان ارضها الجبلية الوعرة قد
خطت الى حد ما بعض فصول تاريخها القديم ، كما
تكلمت فى هذا الباب عن سكان ايران واصلهم وكيف
امتصتهم الهضبة الايرانية . وفى الفصل الثانى تناولت
ايران عبر عصور التاريخ المختلفة ، ويتفق معظم
المؤرخين على ان الفتح العربى هو أهم فترة فى تاريخها
على الاطلاق ، لأن الدين الاسلامى الذى صبغ ايران
بالصبغة الاسلامية ايس دينا فحسب ، بل هو دين
وثقافة وحضارة وهو تشريع ونظام للحكم . وفى
الفصل الثالث بينت كيف بدأ التنافس الدولى على ايران ،
فهى تشغل حيزا هاما فى الصراع العالمى بين القوى
الكبرى ، فهى الحاجز الطبيعى بين روسيا وباقى بقاع
العالم الخارجى ، وهى تقع على أهم طرق الاقتراب
الرئيسية لبريطانيا الى الهند والشرق الاقصى ، ولذلك
ظل النزاع محتدما طوال العصر الحديث بين روسيا
وبريطانيا على امتلاكها والفوز بها وخصوصا بعد
اكتشاف بترولها الوفير . وفى هذه الاثناء بدأت تظهر

الروح القومية الحديثة في ايران ، وكان لزيارة السيد جمال الدين الافغانى أثر كبير في نماء هذه الروح .

وفي الفصل الرابع تحدثت عن اثر الحرب العالمية الاولى على ايران ، وكيف ان الشاه حين ذاك أعلن حياد بلاده ، الا أن الدول المتحاربة لم تحترم هذا الحياد ، وهكذا اصطلت ايران بنيران حرب لم يكن لها دخل في اثارها . وفي الفصل الخامس صورت شخصية رضا شاه بهلوى الذى قام بانقلابه العسكرى الناجح في سنة ١٩٢٦ ، وكانت شخصية هذا الرجل تدعو للدهشة حقاً ، فبينما كان يتصف بالوطنية وبكره الاجانب وباصلاحياته الكثيرة ، فانه كان ينفوس في جمع المال لنفسه ولأفراد أسرته . كما اتصف بحكمه المطلق الشديد الوطأة على الشعب ، وانتهى حكم هذا الشاه بأن خلع عن العرش على أيدي البريطانيين وحلفائهم لعدم وقوفه الى جانبهم في أثناء الحرب العالمية الثانية . وفي الفصل السادس تحدثت عن حتمية التاريخ ، فايران تسير بخطى واسعة في طريق الثورة ، والشاه محمد ابن رضا شاه بهلوى هو الذى يعد النفوس لهذه الثورة ، فهو يشايع الاجانب على مصلحة أهل البلاد الوطنيين ، وهو يناوىء الدكتور مصدق بطل تأميم البترول الايرانى ، وهو يضع الاحرار في السجون بل يحول ايران الى سجن كبير سجن فيه الشعب كله .

وفي الفصل السابع وضحت كيف تمادى في غيه فاعترف بإسرائيل — دولة الاجانب والمعصيات التى اغتصبت فلسطين العربية ، متناسيا الصلات الوثيقة بين العرب والايرانيين منذ صدر الاسلام الاول .

وفي الفصل الأخير تساءلت : ماذا سيكون مصير
ايران ؟ وهنا عرضت للثورات التي حدثت في الايام
الأولى من شهر يونيو سنة ١٩٦٣ والتي راح ضحيتها
المئات من الارواح وهي تطالب بسقوط الديكتاتور
وبسقوط اسرائيل ... ولا ريب أن الشعب الإيراني
قد تأثر تأثرا عميقا بالاتجاهات الحديثة لسائر شعوب
العالم ، أي بانتشار مبادئ الاشتراكية الديمقراطية ،
ولا بد أيضا أن الشعب الإيراني قد وجد في الايديولوجية
الجديدة في الجمهورية العربية المتحدة — التي تؤمن
بإذابة الفوارق بين الطبقات — سلاميا وفي إطار من
الوحدة الوطنية — نموذجا حيا وعمليا يمكن الاقتداء به —
في هذا المضمار .

والله ولي التوفيق .

الفصل الأول

المعالم الجغرافية والسكان

أن موقع إيران الجغرافى قد جعلها معبرا للمواصلات البرية بين منطقة الشرق الاقصى فى آسيا ، ومناطق البحر المتوسط وأوربا ، وقد حمت كهوفها قبل فجر التاريخ الصيادين الذين كانوا قد اتجهوا منذ اقدم العصور نحو السهول المنخفضة فى الجنوب ليستقروا فى القرى ، وغيروا مهنتهم الاصلية بالمهن الاكثر استقرارا كالزراعة وتربية الحيوانات الاليفة ، كما ان إيران ايضا تعترض خطوط هجرات قبائل وسط آسيا ، مما ادى الى استقرار كثير من هذه القبائل فيها (١) .

وقد تحملت إيران اثقال موقعها الجغرافى بما لها من قدرة على المزج والهضم ، والقدرة على امتصاص الدم الاجنبى وتطويع العوامل الاجنبية ، وكانت هذه القدرة مستمدة من عاملين هما : طبوغرافية الارض ، وحيوية اهل البلاد فقد استخدمت إيران كطريق رئيسى للشعوب المغيرة من آسيا الوسطى ، مارة الى الشرق عبر الصحراوات الوسطى اما الى الهند ، واما الى العراق باتجاه الاناضول . (٢) الا أن الاقوام التى دخلت إيران فى هجرات جرارة أو كجيووش ظافرة ، كان

(١) إيران ماضيها وحاضرها - دونالد ولبر - ترجمة الدكتور عبد المنعم حسنين ومراجعة الدكتور ابراهيم امين الشواربى - صفحة ٩
القاهرة - مكتبة مصر .

Iran, Richard N. Frye P.3, London (1960)

(٢)

أفرادها يخلدون الى الاستقرار فى بيئة هى خير من بيئتهم الأصلية
فى السهول القاحلة الواقعة فى الشمال الشرقى أو الألية
المنخفضة فى الجنوب الغربى .

وقد جاوز مجموع الوافدين فى غضون القرون المتوالية عدد
سكان الهضبة الأصليين بكثير ، ولكن المدنية الإيرانية امتصتهم
جميعا ، فغدوا جزءا منها . ومما ساعد على هذا التحول قوة
أساليب الحضارة الإيرانية وما فيها من جاذبية ومن المعروف أنه إذا
ما التقت حضارتان أحدهما بالأخرى ، فإن الحضارة الأقوى تجذب
إليها الأخرى المتخلفة كما يجذب النور الفرائس ، وقد يكون أروع
مثال لهذا الامتصاص ما جرى للمغول الذين دخلوا الهضبة الإيرانية
برابرة يستعذبون القتل والدمار ، فصاروا بعد جيلين من المعيشة
المستقرة من أشد المعجبين بجميع مظاهر الحياة الإيرانية .

ومنذ أقدم العصور بسط حكام إيران نفوذهم شرقى الهضبة
الإيرانية وغربيها ، وأسسوا أول إمبراطورية كبيرة فى العالم ، وظلت
طرق التجارة الرئيسية بين الشرق الأقصى والغرب تمر بشمالى
إيران مئات السنين . وحينما أصبح للطرق البحرية — فيما بعد —
الأهمية التى للطرق البرية ، وجدت إيران الى جانبها طرقا بحرية
تصل بين الثغور الواقعة على الخليج العربى والمراكز التجارية
الرئيسية سواء الواقعة منها داخل حدود الدولة أو وراء حدودها .

وتبلغ مساحة إيران الحالية ٦٢٨.٠٠٠ ميل مربع ، وهى مساحة

* ما زالت إيران تحتل مكانا بارزا فى الحياة السياسية والحربية الباردة
للمعسكرين الشرقى والغربى .

أقل كثيرا من مساحتها فى أى وقت من تاريخها ، لان حدودها فيما مضى كانت أبعد امتدادا الى الشرق من حدودها الحالية وان كانت مطابقة على وجه التقريب لحدودها الغربية فى الوقت الحاضر ، وكان التوسع صوب الشرق نتيجة لاعتدال التربة فى ذلك الاتجاه ، ونتيجة أيضا للترابط الوثيق لغويا وقوميا بين شعوب المنطقة واهل الهضبة الإيرانية (١) .

ويحد ايران من الشمال بحر قزوين وجمهورية القوقاز السوفيتية ، ومن الغرب تركيا والعراق ، ومن الشرق روسيا وأفغانستان وباكستان وتطل سواحلها الجنوبية الغربية والجنوبية على الخليج العربى وخليج عمان والمحيط الهندى ، ويبلغ طولها من الشمال الغربى الى الجنوب الشرقى مسافة ١٤٠٠ ميل (٢) واليوم تحتل ايران حيزا هاما فى الصراع العالمى بين القوى الكبرى ، فهى الحاجز الطبيعى بين روسيا والتسرب الى بقاع العالم المختلفة ، وتقع على أهم طرق الاقتراب الرئيسية لبريطانيا الى الهند والشرق الاقصى ، ولذلك بقى النزاع محتدم الاوار طوال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر بين روسيا وبريطانيا على امتلاكها والسيطرة عليها ولكن أهمية ايران كمعبر لنفوذ القوى الغالبة فى العالم قد بدأ يغلب عليه عامل جديد يتعلق بشدة الصراع العالمى بين كتلتى الشيوعية والراسمالية ، فهى كجزء من قلب الارض التى تسيطر روسيا على معظم اجزائها تعتبر الحلقة المفقودة فى الاستراتيجية الروسية للتغلب على العالم والسيطرة على بقاعه المختلفة ، ولذلك بقيت

(١) ايران ماضيها وحاضرها - دونالد ولبر صفحة ١٠

The Middle East. A political and economic survey

(٢)

(R.I.I.A.) P. 199 London (1950)

ايران بعيدة عن صراع القوى الكبرى طالما كانت روسيا محتفظة بعزلتها فى فترة ما بين الحربين ، حتى اذا أخذت تظهر على مسرح السياسة الدولية. وتبرز بقوتها المادية والمذهبية من جديد برزت أهمية ايران كميدان من أهم ميادين الحرب الباردة فى الوقت الحاضر والحرب الحامية التى يمكن ان تنشب فى أية لحظة بين المعسكرين المتنافسين (١) :

(١) السياسة والاستراتيجية فى الشرق الاوسط - حسين فوزى النجار
ص ٦٥٦ القاهرة مكتبة النهضة عام ١٩٥٣

التضاريس :

XXXXXXXXXXXXXXXXXXXX

وتتكون الوحدة الجغرافية — التي تكون إيران بحُدودها السياسية الحالية أكبر جزء فيها — من هضبة تتخللها جبال عظيمة ، وتمتد هذه الهضبة من سهول البنجاب الى سهل العراق . ويحد الخليج العربي والمحيط الهندي الهضبة من الجنوب ، وتحدها من الشمال جبال القوقاز وسهول آسيا الوسطى ، وعلى كل يجب ان نستبعد هنا تلك المناطق التي تدخل ضمن حدود الاتحاد السوفييتي وأفغانستان وباكستان .

وتفصل الهضبة عن السهول سلسلتان عظيمتان من الجبال ، تمتد احدهما وهي سلسلة جبال البرز جنوب بحر قزوين حتى تصل داخل أفغانستان ، أما السلسلة الأخرى وهي سلسلة جبال زاغروس فتقع على طول حدود إيران الغربية وتستمر على طول الخليج العربي والمحيط الهندي حتى باكستان ، وتوجد أيضا جبال أصغر من هذه داخل البلاد ، ولا تغيب الجبال أبدا عن الانظار حتى في الصحاري الوسطى ، ونقصد بذلك صحراء دشت لوت ، ودشت كوير . (١) وكلمة دشت معناها الصحراء ولوت معناها الخالية وكوير معناها الصحراء الملحة . (٢) وتمتد دشت كوير من مسافة ٤٠٠ ميل الى مقربة من كشمير ويعرض ٨٠ — ٥٠ ميل . أما دشت لوت فتكون متوازي اضلاع تتكون زواياها من تاباس ويزد وكرمان . (٣) وهاتان الصحراوان دشت كوير ودشت لوت

(١) Iran, Richard N. Frye P. 3, 4. (1)

(٢) إيران ماضيها وحاضرها — دونالد ولبر صفحة ١٦

The Middle East (R.I.L.A.) P. 200 (٣)

تؤثران في النفس نظرا لوحشتهما وعزلتهما ، كما يوجد فيهما
نجات ملحقة تذكرنا بسطح القمر حين ننظر اليه من خلال تلسكوب ،
ومن المؤكد انه لا يوجد فيهما حياة حيوانية أو نباتية .

وعلى العموم فان عدم وجود الاعشاب والاشجار تعد ظاهرة
بارزة في هذه الهضبة ، وربما كانت توجد في الماضي حياة نباتية أكثر
ما هي عليه الآن ، الا انه على أية حال لاتزال الجبال والودية
كما هي ، وهي تقسم الهضبة حاليا كما كانت تقسمها في الماضي عدة
أقسام . ويمكننا ان نميز عشرة أقسام تبدأ بأذربيجان في الشمال
الغربي ، وهي كيان جغرافي واحد استطاع ان يباشر من وقت لآخر
وجودا سياسيا مستقلا عن بقية ايران . أما قلب هذا الاقليم فهي
منطقة طهران — اصفهان — حمدان التي كانت غالبا ما تقع فيها
العاصمة ، والتي أصبحت مركزا للسلطة في العصور الحديثة .
وفي الجنوب يقع اقليم فارس (Fars) ، وتعتبر شيزار أهم مدنه،
واذا بعدنا نحو الشرق نجد اقليم كرمان ، وتحمل أكبر مدنه الاسم
نفسه أما بام فهي ثاني مدن الاقليم ، وتفصل هذه المنطقة عن بقية
ايران صحارى في الغرب تقع بين كرمان ويزد ، وتقع في الشرق
بين بام وسيستان واذا ما اتجهنا جنوبا وشرقا نجد أرض بلوخيستان
القاحلة ، وهي الآن مقسمة بين ايران وباكستان . وفي الشمال
الشرقي يقع اقليم خراسان الأهل بالسكان نوعا ما وتعتبر مشهد ،
أكبر مدنه وهي المركز الديني لايران ، وتفصل خراسان عن بقية
البلاد صحراوان ملحيتان واسعتان يمكن اجتيازهما حيث انه من
السهل العثور على الواحات والآبار على طول طرق القوافل ، أما
مراعي التركمان (الاستبس) فمع انه من الممكن اعتبارها الجزء
الشمالى من خراسان فانه من المستحسن اعتبارها امتدادا لاقليم
الاستبس في آسيا الوسطى الممتد جنوبا من الاتحاد السوفييتى .
وبالإضافة الى هذا يوجد اقليم خوئيستان الشهير بالبترو

الواقع عند رأس الخليج العربى ، وهناك اقليم جيلان واقليم
مازندران الواقع على بحر قزوين . (١)

وتعيش غالبية السكان على طول الخطوط التى ترسمها
سلاسل الجبال الرئيسية وهى جبال زاجوريس والبرز الضخمة ،
وهذه الجبال تمتد فى صفوف متوازية تضم فيما بينها اودية ضيقة
طويلة محاطة فى نهاية كل منها بحواجز جبلية متقاطعة . ويبلغ
متوسط اتساع الوادى حوالى ثمانية أميال عرضا ومن ٢٥ الى ٤٠
ميلا طولا .

وتقضى القبائل الرحل الصيف فى المناطق المرتفعة ، وهى
المناطق التى تسودها فى الشتاء الثلوج والبرد الشديد اللذان
يجعلان الحياة القروية المستقرة فيها مستحيلة ، وتتكاثر الجماعات
الزراعية فى الاودية حيث تكون السهول أكثر ملائمة للزراعة .

وقد عاش الفلاحون قرونا عدة معيشة منعزلة يسدون
حاجاتهم بأنفسهم ، وقد ساعدت الحواجز التى تفصل بينهم وبين
العالم الخارجى على دوامهم التاريخى ومحافظةهم على سلالاتهم
البشرية واستغلالهم فى اوقات الغزو الاجنبى .

الانهار :

الانهار في ايران

هناك نوعان من الانهار في ايران ، الانهار التي تصب في البحار ، والانهار التي تصب داخل البلاد ، اما اهم الانهار التي تصب في البحار فاهمها هي التي تصب في بحر قزوين وهي من الغرب الى الشرق نهر ارس ونهر سفيد وجالوس وغيرها ، وهي تفيض في فصل الربيع . وتصلح نهايات هذه الانهار لتوالد الاسماك وبخاصة الاسماك الكبيرة الموجودة في بحر قزوين ، وهي التي يؤخذ منها الكافيار وتعد هذه الانهار مستودعات لقوى مائية كبيرة لم ينتفع بها حتى الآن . (١) اما النهر الوحيد الصالح للملاحة فهو نهر كارون الذي يصب في الخليج العربي ، (٢) وهو يقطع اقليم خونسثان . (٣)

اما الانهار التي تصب داخل البلاد فاهمها زاننده رود الذي يعبر اصفهان وجاجرود وكرج وهي اهم مجارى الانهار الدائمة . واغلب الانهار الأخرى تجري ثم تجف في أواسط الصيف ، واكبر مثل للانهار التي تجري بهذه الصورة نهر زاننده رود الذي تغذى مياهه اصفهان وكثيرا من الاراضي الزراعية القريبة منها ، ويبلغ اتساعه عند اصفهان — في فصل الربيع — أكثر من مائة ياردة ، ويبلغ عمقه ستة أقدام ، وليست عليه خزانات او قناطر لتنظيم صرف المياه ، ولذلك فان مياهه المتدفقة تصب في المناطق الصحراوية ، وتغور في الاراضي الخالية المتعطشة ، وفي أواخر الربيع تسحب

(١) ايران ماضيها وحاضرها - دونالد فولبر صفحة ١٤ .

The Middle East (R.I.L.A.) P. 200.

(٢)

Iran, Richard N. Frye P. 5.

(٣)

الأراضي الزراعية الواقعة في أعلى النهر من ناحية أصفهان مياهه إلى الحقول لزراعة الأرز ، وينتج عن هذا أن يتحول النهر في أواسط الصيف إلى مجرى ضحل في محاذاة أصفهان يكفي لحاجات المنطقة ، في حين تظل القرى البعيدة الواقعة في أسفل النهر محرومة في أغلب الأوقات من أي ماء على الإطلاق .

أما بحر قزوين الذي يحده إيران من ناحية الشمال ، فهو يقع على عمق ٨٥ قدما تحت سطح البحر ، وهو ضحل نسبيا وحجمه ينكمش تدريجيا منذ عدة قرون ودرجة ملوحة مياهه أقل كثيرا من درجة ملوحة المحيطات ، وبرغم أن الأسماك كثيرة فيه فإن شواطئه لا تكون مرافئ طبيعية حسنة كما أن العواصف العنيفة المفاجئة تكون خطرة على قوارب الصيد .

وهناك بحيرة تسمى بحيرة رضائية ، ومساحتها ٢٨٠٠ ميل مربع ، ومتوسط عمقها خمس ياردات ، وتصب في هذه البحيرة نهيرات صغيرة قليلة، مما أدى إلى إنكمش مستمر في مساحتها. (١)

وبينما نجد أن المناخ على الهضبة قارى ذو شتاء بارد وصيف حار إلا أننا نجد أن الشتاء معتدل في خوزستان ، ولكن الصيف يتميز بحر لا يطاق . وتعتمد شهرة خوزستان الآن على زيت البترول . . . ومع أن صناعة البترول قد جلبت نشاطا وتطورا لم يسبق لهما مثيل في هذا الجزء من البلاد ، فإنها قد أدت من ناحية أخرى إلى إهمال الزراعة ، لأن خوزستان كانت مشهورة في العصور القديمة بأنها غنية بزراعة الحبوب وقد فقدت هذه الشهرة في الوقت الحالي . (١)

(١) إيران ماضيها وحاضرها - دونالد ولبر صفحة ١٦ - ١٧

Iran, Richard N. Frye P. 5.

(٢)

مشكلات المياه والرى والزراعة :

تشغل السلاسل الجبلية العالية والصحارى الواسعة ثلثى مساحة الاراضى فى ايران ، وهى اجزاء غير صالحة للزراعة ، وتبلغ مساحة الارض المزروعة فى الوقت الحاضر اقل من عشر مساحة الارض كلها .

وتربة ايران ليست من النوع الخصب ، فهى من نوع اللويس الذى يعتبر رمليا اكثر باضطراب كلما اتجهنا جنوبا وشرقا ، ولما كان الماء هو الحاجة الاساسية للزراعة ، فانه يعتبر عصب الحياة بالنسبة لايران ، ومنذ العصور القديمة والايروانيون يتبعون نظاما ملحوظا فى الرى يعتمد على انفاق محفورة تحت الارض يطلق عليها اسم قنوات ، وهذه القنوات تجلب الماء من الجبال وتسير مسافة تبلغ فى بعض الاحيان ثلاثين ميلا تحت الارض لكى تتجنب الخسارة التى تفقدها بوساطة البحر حتى تصل الى السهول . واليوم مازالت هذه القنوات تحفر وتجرى صيانتها بطرق بدائية بحيث يبذل فيها جهد كبير ونفقات طائلة .

ومن سوء الحظ أن معظم الانهار على الهضبة عبارة عن انهار موسمية تتكون عندما تنصب السيول بغزارة لفترة قصيرة فى الربيع ثم تجف بقية العام ، ومعظمها يصيب فى بحيرات أو مستنقعات ملحية . ومن الممكن انقاذ كميات كبيرة من المياه لاستخدامها فى الاغراض الزراعية اذا اقيمت سدود دائمة ، وفى الوقت الحاضر تقام عدة سدود على انهار خوزستان فى حين يجرى التفكير فى اقامة سدود أخرى فى أماكن متفرقة من البلاد . والواقع انه من الصعب أن نتصور كيف ينجح اصلاح الارض وتقسيمها على الفلاحين بدون

للقامة سدود ضخمة ، حيث أن الماء لا الأرض هو العامل المهم في إيران والملاك فقط هم الذين يملكون في الوقت الحاضر رأس المال اللازم والقدرة على جمع الفلاحين للعمل في القنوات .

وقد جرى العرف على أن تقسم حاصلات الأرض خمسة أقسام يخص كلا من الأشخاص الذين أمدوا الأرض بالماء والحيوانات والبذور وقاموا بالعمل في الحقل الخمس في حين يأخذ المالك الباقي . والفلاح الذي يستطيع أن يجلب الثيران اللازمة أو يمد الأرض بالبذور هو أحسن حالا من جاره الذي يستطيع أن يقوم بالعمل فقط وعلى كل فالواقع أن للفلاح الإيراني مرتبط بالأرض ، وهو مدين بصفة دائمة للمالك .

ولما كانت الزراعة في إيران تقوم في أغلبها على الأمطار — تنهي تزداد إذا زادت كمية المطر السنوي وتقل إذا قلت هذه الكمية ويتأثر بها حجم المحصولات المختلفة .

وتعتبر الحبوب أهم الفلات الزراعية ، وتشمل القمح والشعير ، والأرز كما تنتج إيران أيضا الفواكه المختلفة وأهمها الخوخ والمشمش والبرقوق والكمثرى والتفاح . ويزرع نخيل البلح في الواحات ، وتوجد في إيران ٨٠٠٠٠٠٠ من أشجار النخيل ، كما يقدر عدد أشجار الزيتون في إيران بحوالى ٤٠٠٠٠٠ شجرة تزرع في مساحة محدودة على المنحدرات الشمالية لجبال البرز ، ومحصولها من الثمار والزيت الذي تغله ذو قيمة اقتصادية كبيرة . ويعتبر العنب كذلك من المحصولات الهامة ، وهو يعتبر الغذاء الرئيسي في فصل الصيف ، وهو يجفف ويصدر على هيئة زبيب كما يستعمل في صنع النبيذ .

وبالإضافة إلى ذلك توجد محاصيل للآبار الزراعية كالقطن والبنجر والطباق والشنאי . وتنمو أشجار التوت في جميع

أجزاء الهضبة الإيرانية ، وتربى قرى كثيرة دود القز الذى يتغذى بأوراق التوت ، ولكن أهم مركز لإعداد شرائق دود القز هو السهل الساحلى لبحر قزوين ، ويتردد انتاج الحرير بين ٥٠٠ - ٢٠٠٠ طن سنويا .

وفى ايران نحو خمسين مليون فدان من الغابات ، ولكنها ليست كلها ذات قيمة اقتصادية كبيرة . وتوجد الغابات على طول المنحدرات الشمالية لسلسلة جبال البرز مبتدئة من مسافة قصيرة خلف بحر قزوين والشريط الساحلى لهذا البحر ، وتتدرج فى الارتفاع حتى تصل الى ارتفاع اقصاه ٧٠٠٠ قدم فوق سطح البحر ، وتغطى أغلب هذه المساحة غابات من شجر البلوط وشجر الدردار والجوز والزان ، وتعد هذه الاشجار ثروة وطنية تجب المحافظة عليها ، ولذا فان قطع الاشجار خاضع للقوانين الحكومية . وقد استمر قطع الغابات فى الهضبة الإيرانية قرونا عدة ، وما زال قائما على قدم وساق ، فالبندو يقطعون اشجار البلوط المنخفضة ويحرقون الخشب للحصول على الفحم ، فى حين تلتهم قطعان الغنم والماعز الشجيرات الجديدة . كما أن الفلاحين فى كل مكان يبحثون بحثا حثيثا عن الوقود ، ومن المتيسر تماما إعادة زراعة الغابات فى مناطق معينة من البلاد ، ولكن ينبغى أن يحمى كل قسم تعاد زراعته لمدة معينة من السنوات حتى لا تصيبه أنواع التخريب التى ذكرت . (١)

(١) ايران باضيتها وحاضرها - دونالد ولبر - صفحة ١٤٠ - ١٤١

نفسها ، والغالبية العظمى من الاكراد يعتقدون المذهب السني ، في حين يعتقد الايرانيون ومعظم القبائل الأخرى المذهب الشيعي .

أما قبائل اللوريين (Lurs) والبختياري متقطن جنوب مناطق الاكراد ويتكلمون لهجات قريبة الشبه باللغة الكردية ، ويبلغ عدد افراد هذه القبائل حوالي نصف مليون . وتقضي قبائل البختياري الصيف في المنطقة المجاورة لاصفهان ، في حين تقضي الشتاء في خوزستان . أما في اقليم فارس فتوجد قبيلتان رئيسيتان تتكلمان اللغة التركية هما قبيلة الكاشكيين وقبيلة الخمسة . وتوجد في خوزستان قبائل عربية .

وقد استقرت غالبية التركمان الذين كان يخشي بأسهم في الماضي في أرض خراسان بالرغم من أنه مازال يوجد منهم كثير من الرحل في اقليم الاستبس في الشمال ، ويوجد هنا أيضا الاكراد الذين وطنهم الشاه عباس في أوائل القرن السابع عشر كجزء من سياسته في خلط السكان وعزل الافراد الذين قد يسببون له المتاعب .

وتعدد اللغات واللهجات بين القبائل أمر محير ، ولكن هناك أقليات أخرى مستقرة تزيد مشكلة تكوين سكان ايران تعقيدا ، ومن أهم هذه الأقليات الانريجاتيون الذين يتكلمون اللغة التركية والذين يزيدون على المليون ونصف المليون من النسمة ، ويتندر بعض الكتاب عليهم بأنهم يتحدثون بالتركية ويكتبون بالفارسية ويصلون بالعربية . (١)

الفصل الثاني

إيران عبر عصور التاريخ

لقد كتب الفرس انواعا شتى من كتب التاريخ فى العصور الوسطى سواء بالعربية او الفارسية بما فيها اسفار اخبارهم سنة بعد سنة ، والتي كان معظمها يتناول الاحداث السياسية والعسكرية ، وتضمنت مؤلفات اخرى كثيرا من اخبار المدن تصف ضواحيها والمشهورين ممن ولدوا فيها ، كما تضمنت الاحداث البارزة فى ماضي المدينة ، هذا بالاضافة الى مجموعات السير وكتب الجغرافية التاريخية وكتب الرحلات ذات الاهمية الاثرية . . . واذا كان هناك موضوع مشترك بين هذه الكتب جميعها فهو الدين الاسلامى الذى وضع مقاييس الموضوعات التى تهتم الكاتب والقارىء معا . وهكذا اذا كان لاحد ان يتفهم الشرق ، فلا بد ان يتحقق من تغلغل هذا الدين فى جميع ارجائه .

ومراحل تاريخ ايران محدودة المعالم وواضحة ، وضوح الفصول وتعاقب الليل والنهار ، واذا تحدث انسان عن التغيرات العظيمة التى حدثت فى مجرى تاريخ ايران ، فان اهم الخطوط الفاصلة هو الفتح العربى فى القرن السابع الميلادى ، الذى يقسم تاريخها الى عصر ما قبل الاسلام والعصر الاسلامى .

ولا يعادل الاثر الذى تركه الاسلام فى ايران اى اثر آخر حتى الاثر الكبير الذى يحدثه الغرب فى العصور الحديثة ، ذلك لان الاسلام استطاع ان يشكل أسس الحياة اليومية ذاتها ، هذا بالاضافة الى اثره العميق

فى الثقافة الايرانية فالدين الاسلامى ليس ديناً فحسب ، بل هو دين وحضارة وثقافة ، وهو تشريع ونظام للحكم .

وهكذا فالمقياس الذى يجب ان يستعمل فى الحكم على أهمية المراحل المختلفة فى تاريخ ايران هو الدور الذى لعبته كل مرحلة فى ايران .

ويقترح الاستاذ فرأى (١) تقسيم تاريخ ايران الى المراحل التالية :

١ — الاكمنيون : من القرن السادس الى القرن الرابع قبل الميلاد .

٢ — غزو الاسكندر الاكبر والدولة الاغريقية ٣٣١ — ١٢٩ ق م .

٣ — النزاع بين البارثيين والرومان من جهة وبين الساسانيين واليونان من جهة أخرى (الشرق ضد الغرب) ١٣٠ ق م . — ٦٤٠ م .

٤ — الفتح العربى : القرن السابع الميلادى .

٥ — الغزو التركى المغولى : من القرن العاشر الى القرن الثالث عشر

٦ — النزاع الصفوى العثمانى من القرن السادس عشر الى القرن الثامن عشر .

٧ — اثر الغرب : القرنان التاسع عشر والعشرون .

الأكمينيون :

AMTITIN HILAMITITIL HYLIL HILAMITITIL

قام الأكمينيون ببناء أول امبراطورية ايرانية عظيمة وانشئوا عالمها القديم ، كما خطوا نماذج الدولة والنظام الحكومى للاسرات لآتى جاءت فى العصور التى تلت هذه الفترة . وقد أمكن للأكمينيين تكوين أول امبراطورية كبيرة فى العالم على يد قورش الذى استولى فى عام ٥٤٦ ق .م . على ارمينية وآسيا الصغرى والمستعمرات اليونانية التى على ساحل البحر المتوسط ثم خلف قمبيز أباه قورش وقام بغزو مصر ، ثم تولى دارا عرش المملكة ، وتميز عهده بالحروب المستمرة بينه وبين اليونانيين . ثم تولى العرش اكسركيس الاول بعد أبيه دارا فى عام ٤٨٥ ق . م ، وفى عهده بدأت علاقات أكثر ودا مع الولايات والمستعمرات اليونانية .

وكانت الحضارة الاغريقية ذات تأثير كبير فى الشرق الأدنى مثل اثر الغرب الآن ، وقد أثرت الافكار الجديدة فى العلم والفلسفة والدين والهندسة المعمارية وغيرها فى نواحي الحضارة فى ايران ، ولا يحتاج الانسان الا أن ينظر الى التماثيل اليونانية الصغيرة والعملات وآثار المباني التى تكتشف كل سنة فى ايران أو فى افغانستان حتى يتيقن أن الثقافة اليونانية لم تؤثر بأفكارها على الطبقة المتعلمة فحسب ، بل نفذت كذلك الى الحياة العادية ذاتها فى عصر البارثيين الساسانيين .

وقد أدى النزاع بين البارثيين والرومان من جهة والساسانيين واليونانيين من جهة أخرى الى تقسيم العالم الى شرق وغرب ، وكان من نتيجة هذا أن تحولت أنظار ايران من البحر المتوسط الى

آسيا الوسطى والهند ، وهذه هي الفترة التي انتقل في أثنائها مركز
ثقل السلطة والحضارة الإيرانية من الجنوب الغربي (فارس
وخونستان) الى الشمال الشرقي (خراسان) وقد عجل الفتح
العربي بهذه العملية . وحتى ذلك الوقت لم يكن الجزء الشرقي من
ايران قد قام بدور يذكر في تاريخها ، ولكن الاتصالات التجارية مع
الشرق الاقصى والهند أعطت ايران أهمية جديدة كوسيط بين الشرق
الاقصى وأوروبا .

الفتح العربى ونتائجه :

XX

لقد كانت بلاد العرب — دائما — موطننا للبداية والرحل ، وهم عنصر سامى يعادى الغزو والتأثيرات الاجنبية . وفى السنوات الاولى من القرن السابع ، كانت شبه الجزيرة العربية هادئة ، وكانت مكة والمدينة مدينتين صغيرتين تقتصر شهرتهما على مجرد وقوعهما على الطريق الرئيسى لسير القوافل ، كما كانت مكة — منذ وقت طويل — مركزا لعبادة الاصنام ومكانا للحج . وفى هذا المكان الهادى ولد النبى صلوات الله عليه فى عام ٥٧٠ م ، ولم تتضح رسالته العظيمة الى ان بلغ سن الاربعين ، وحين ذاك اوحى اليه القرآن وبدأت دعوته تتقدم ببطء ، ثم قام عليه السلام بهجرته من مكة الى المدينة فى عام ٦٢٢ م (١ هـ) وهو التاريخ الذى صار بداية للتاريخ الاسلامى الهجرى ، وظفر النبى بسيطرة كاملة على شبه الجزيرة العربية قبل وفاته فى عام ٦٣٢ م (١١ هـ) بسنوات قليلة .

واصبح ابو بكر صديق النبى الوفى ، واسبق من آمن به من الرجال ، اول خليفة للمسلمين ، فوجه سلسلة من الحملات العنيفة الى ما بين النهرين وسورية ، فأصبحت نجاحا كبيرا ، بحيث اشتبك المجاهدون المسلمون بالقوات الرئيسية للبيزنطيين والساسانيين (١) ويهنا هنا أن نذكر معركة القادسية التى استمرت أربعة أيام بين المسلمين بقيادة سعد بن أبى وقاص وبين الفرس فى عام ٦٣٦ م . فقد انتصر المسلمون انتصارا رائعا من كل الوجوه . . . فقد قتل

(١) ايران ماضيها وحاضرها — دونالد ولبر صفحة ٤٩

معظم قواد الفرس العظام ، واستسلمت فرقة حرس القائد الفارسي رستم ، وهم الجند المعروفون بجند شاهنشاه وكانوا أربعة آلاف رجل ، فانضموا الى المسلمين بعد أن استأمنوا سيعدا علي أن يحالفوا من أحبوا من القبائل ، وأن يفرض لهم العطاء السيوة بالمسلمين ، فأعطاهم سعد بن أبي وقاص ما سألوا . . . ثم لم يلبثوا أن اعتنقوا الاسلام وأصبحوا جزءا من الجيش الاسلامي ، وكان من نتيجة موقعة القادسية أيضا أن دان كثير من الفرس بالطاعة لسعد ابن أبي وقاص مما سهل على الجيش الاسلامي التقدم الى المدائن حيث لم يلق مقاومة جديده من الفرس ، أما الغنائم التي غنمها المسلمون فهي شيء كثير لا يعد ولا يحصى من أموال وسلاح . . (١)

ولم يجد سعد وجيشه كبير مشقة في فتح المدائن ، فقد كان الطريق اليها خاليا من المقاتلين ، فقصدوا القصر الابيض وفيه ايوان كسرى . . . ودخل سعد ورجاله القصر ، وقد ظنوا أن الملك قد أخذ معه عند فراره كل ما يحويه القصر من أموال وتحف ومتاع ، ولكن الواقع أن ما حمله مما خف جملة وغلا ثمنه كان قطرة من بحر وقد وجد المسلمون القصر عامرا بالنفائس والذهب والفضة .

وقد دلت معركة القادسية والمدائن على أن المسلمين الذين خرجوا لفتح العراق إنما خرجوا لنشر رسالتهم السامية التي تدعو العالم الى الخير وانقاذ الناس من ظلم الملوك والحكام وردهم الى عدل الاسلام وتخليص المستضعفين من جبروت الاقوياء ، ولم يكن خروجهم للسلب والنهب والاثراء وإنما كانوا يبغون نشر راية الوحدةانية . وان البطولات الفردية التي تجلت في معارك القادسية في أيامها الأربعة وعبور المسلمين دجلة الى المدائن على ظهر

(١) سعد بن أبي وقاص - عبد القادر طليمات صفحة ٩٥ و ٩٦ - القاهرة

المكتبة التاريخية - دار القلم (١٦٦١) . .

الخيول ، هي اعظم دليل على ان هؤلاء المحاربين المجاهدين ما كانوا
يبلغون من وراء القتال الا وجه الله .

ولا تقل اهمية فتح المدائن عن اهمية انتصار القادسية ، فكما
ان انتصار القادسية حطم معظم قوة الفرس العسكرية الرئيسية ،
فان فتح المدائن حطم روحهم المعنوية ، لأنها عاصمة الامبراطورية
الفارسية ومنها تصرف شئون الامبراطورية الواسعة ، كذلك كانت
مركز حضارتها ، ثم هي المعبر الى داخل الامبراطورية فسقوطها
مهد السبيل للقوة الاسلامية في القضاء على ما بقى من القوة
الفارسية في معركة نهاوند بعد ذلك فلم ينهضوا بعدها نهوضاً جدياً
تجاه المسلمين . . . ثم انتشر المسلمون بعد ذلك داخل الامبراطورية
فاستولوا على اقليمها الرئيسي ، وهو اقليم فارس ، فطووا بذلك
امبراطورية الاكاسرة تحت جناح دولتهم الفتية ، واصبحت جزءاً
هاماً من اجزاء الامبراطورية الاسلامية العظمى . (١) وهكذا دخلت
غالبية الفرس في الاسلام ، بل ان اهم مظهر من مظاهر ايران حتى
العصر الحاضر تأثرها تأثراً عميقاً بالاسلام (٢) .

ولم يقيم العرب باحلال نظم اخرى محل النظم الحكومية التي
اقامها الساسانيون ، وكانت اللغة العربية هي الاختيار الطبيعي
لأنها لغة القرآن الكريم فحسب ، بل لأنها كانت اداة طيعة للغاية
كما تطورت الثقافة العربية الى حد كبير عقب اتصالها بالفلسفة
اليونانية والافكار الفارسية ، كما كانت اللغة العربية تنافس اللغة
اللاتينية وتتفوق عليها في العصور الوسطى كلغة العلم والتعليم . .
وقد ساهم الفرس بنصيب وافر في هذا المضمار وتحتوى قائمة
الاييرانيين الذين اشتهروا بكتابتهم العربية على أسماء كثيرة من

(١) سعد بن ابي وقاص - عبد القادر طليمات صفحة ١٠٧ - ١١٣ .
The Middle East (R.I.I.A.) P. 203-204).

(٢)

أمثال ابن سينا والرازي والغزالي الذين وفقوا بين المعتقدات الصحيحة وبين التصوف في الدين الاسلامي .

وكانت الخلافة الأموية امبراطورية عربية عاصمتها دمشق ووجهتها البحر المتوسط . وكانت سورية موطن الخلفاء ومصدر مؤيديهم حتى بعد أن استمرت الامبراطورية في التوسع ، وزحفت الجيوش الاسلامية أيام حكم الأمويين حتى عبرت جبال البرانس سنة ٧١٨ م في حين توغلت في الشرق حتى منطقة الاستبس في اواسط آسيا . . . واستطاع الامويون ان يحتفظوا بالسلطة حتى سنة ٧٥٠ م حينما استولى العباسيون على السلطة بزعامه فارسي يدعى ابو مسلم .

وقد فسر بعض العلماء الثورة العباسية على انها ثورة الفرس ضد العرب ، كما يؤكد هؤلاء العلماء أن الخلافة الجديدة كانت فارسية أكثر منها عربية . . والواقع انه بالرغم من أن الحكام الجدد أسسوا عاصمتهم بغداد في العراق ، وكانوا متأثرين بالعادات الساسانية في البلاط الملكي فان العباسيين كانوا عربا ، ولم يتولوا مقاليد السلطة على أساس تفوق أي عنصر أو شعب بل ان الثورة العباسية كانت ثورة اجتماعية واقتصادية ضد سيطرة الدولة الأموية .

وكانت الأسرة الحاكمة الجديدة تميل الى الفرس ، فقد تأثرت تأثرا قويا بنظم فارس الساسانية ، وقد نقلت العاصمة الى بغداد وهي أرض كانت خاضعة لحكم الساسانيين ، وازدادت أهمية النظم والآداب والراسمالية التي كانت شائعة في بلاط فارس قبل الفتح الاسلامي كما زادت أهمية معالم البيروقراطية الساسانية القديمة خلال حكم العباسيين .

ومن الواضح أنه بالرغم من عملية التقريب بين الطبقات التي

يحدث عليها دين ديمقراطي اشتراكي مثل الاسلام ، فان الفرنسي احتفظوا بكثير من صفات نظام الطبقات الاجتماعية الذي بقى من أيام حكم الساسانيين (١) بل انهم لا يزالون حتى الآن ينتهجون سياسة الفوارق بين الطبقات . والنظريات الاشتراكية والديمقراطية نظريات أصيلة في المجتمع العربي وحث عليها الدين الاسلامي . فعندما تولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخلافة ، وقف في الناس ليقول « لقد وليت عليكم ولست بخيركم ، فان رأيتم في أعوجاجا فقوموني ، ولا خير فيكم ما لم تقوموا ، ولا خير في ما لم أسمع » . فإرد عليه أحد المسلمين قائلا « والله لو رأينا فيك أعوجاجا لقومناك بحد السيف » .

وما كان ليستطيع هذا الرجل أن يقول ذلك لو علم أنه في مجتمع ظالم ، يظلم فيه الوالي الرعية ، وتظلم فيه الرعية نفسها بالسكوت على الظلم ، والله انها لأسمى مراتب الديمقراطية التي لم تصل اليها البشرية في وقت من الاوقات . أما عن ناحية الاشتراكية واصلتها في الاسلام ، فيكفي ان نشير الى ما قاله المستشرق دوزي عن المبادئ الاجتماعية في الاسلام ، يقول دوزي : « ان المبادئ الاشتراكية هي من وضع الاسلام ، وانها تعد وايم الحق الناحية الحساسة جدا في صميم قواعد الدين الاسلامي ، ولها جهات تنطوي على نبالة القصد لازالة ضغط الحاجة عن الفريق الرقيق الحال في مجتمعنا البشري ، ويخال الي كلما توغلت في دراسة الاهداف الشرعية التي نص عليها القرآن الكريم فيما يتعلق بالحياة الاشتراكية، اننى أرى دموع محمد تنسكب على محياه كلما ورد اسم فقير على لسانه أو تحدث اليه متحدث عن فواجع الفقر وآفاته » (٢) .

Iran, Richard N. Frye P. 47.

(١)

(٢) الاشتراكية الديمقراطية التعاونية - ابراهيم البرايري صفحة ١٢٤ - ١٢٥ .

وقد تمتع الفرس بمكانة هامة في العالم الاسلامى بعد قيام الدولة العباسية (١) ونتيجة لتوسع النفوذ الفارسي تحت حكم العباسيين ، كان من الطبيعي ان تقوم الثورات ضد السلطة العربية او الاسلامية في ايران . وتاريخ نهاية القرن الثامن الميلادي مليء بمثل هذه الثورات ، ومعظمها ثورات دينية وسياسية في الوقت نفسه ، ولكن لم تنتج واحدة من هذه الثورات .

الدولة الطاهرية :

|||||

وسرعان ما أصبح الاسلام الدين السائد فى ايران ، وفقدت الثورات التى قامت بعد ذلك طابعها الدينى وأصبحت ثورات سياسية . وأول الممالك الفارسية التى تأسست تحت حكم الخلافة العباسية كانت من حكام خراسان من بين الاسرة الطاهرية . ولما كان أفراد هذه الاسرة يدينون بالولاء للخلفاء ، فان الخلفاء بدورهم كانوا يعينون الحكام بعد سنة ٨٢٢ م من بين أفراد هذه الاسرة فقط ، مما أضفى على هذه الاسرة طابعاً وراثياً (١) . وقد امتاز الطاهريون بحب الكتابة والشعر (٢) . والواقع ان سلطة الخليفة العباسي كانت قد انتهت الى الابد فى ايران ، ولم يكن يعترف برئيس العالم الاسلامي الا شفويًا فقط ، وذلك باعتباره قبل كل شيء رمزا دينيا أكثر منه سياسيا . وحتى فى الغرب . . . فى اسبانيا وشمالى افريقية ومصر ، لم يعد يعترف حتى بسلطة الخليفة الدينية وهكذا بدأت أولى دلائل فصل السلطات الدينية والسياسية فى العالم الاسلامي . وكان هذا سببا فى قيام مناقشات علمية استمرت طويلا بين العلماء بشأن طبيعة الدولة الاسلامية التى انتهت على يد السلجوقيين بالنظرية السياسية التى تقول : ان السلطان يمارس السلطات الزمنية فى حين أن الخليفة يختص بالامور الدينية والقانونية ، وبالطبع كانت علاقة الخليفة بالسلطان غير طيبة فى بعض الاحيان ، وتصل أحيانا الى حد النزاع ، ولم تنته مسألة ازدواج السلطة الا بنهاية الخلافة نفسها .

Iran, Richard N. Frye P. 48.

(١)

(٢) ايران ماضيها وحاضرها - دونالد ولبر صفحة ٥١

الإسرة الصفارية :

وانتهى أمر الدولة الطاهرية فى عام ٨٧٢ ، بعد أن هزم محمد بن طاهر آخر أفراد الاسرة الطاهرية على يد جيش من الثوار من اقليم سيستان برئاسة يعقوب بن الليث الصفارى ، وكان يعقوب هذا نخاسا وقاطعا من قطاع الطرق ، ثم أصبح فى عام ٨٦٧ سيدا على خراسان وهراة ، الا انه سرعان ما أسقط دويلتهم وبسط نفوذه على كرمان وفارس واصفهان أيضا . وتوفى فى عام ٨٧٩ م بعد انهزامه فى محاولة لفتح بغداد نفسها ، فتوجه اخوه عمرو بن الليث الى اقليم ما وراء النهر وكان السامانيون قد ظفروا فيه — حديثا — بالسلطة ، ولكنه هزم وارسل أسيرا الى بغداد حيث أعدم فى عام ٩٠٢ م ، واحتفظ اعقابيه بالحكم طويلا فى سجستان ، وقد حدثت فى هذه السنوات المحدودة للحكم الصفارى حادثة ذات مغزى مهم

الا وهى أن يعقوب الصفارى سمح للشعراء بنظم الشعر بالفارسية لأول مرة بعد الاسلام .

الأسرة السامانية :

~~~~~

وجاءت فى أعقاب هذه الأسرة الصفارية أسرة أخرى أكثر أهمية هى الأسرة السامانية التى جاءت من عاصمتها بخارى فى أواسط آسيا وسرعان ما استولت على معظم الاراضي الصفارية . وقد حكم اسماعيل مؤسس هذه الدولة من سنة ٨٩٢ الى سنة ٩٠٧ م ، وكان قائدا مظفرا جدا ، واستطاع فى السنوات الاخيرة من حكمه ان يكرس كثيرا من وقته لتعمير عاصمته بخارى .

وقد وصلت الدولة السامانية الى اقصى قوتها فى عصر نصر ابن احمد من سنة ٩١٣ الى سنة ٩٤٣ م فسيطرت على اقليم ما وراء النهر وخراسان وسجستان وجرجان وطبرستان والرى وكرمان ، وضم بلاط بخارى رجالا من ذوى العلم الفزير ، وكان منهم الفيلسوف ابو على بن سسيناء ، وفيه ولد الادب الفارسي الحديث على ايدى الشعارين الرودكى والدقيق منشئ الشعر الخماسي ، ولكن تحول الدولة السامانية الى حكومة اقطاعية وشعب يئن من الظلم ، أدى الى ظهور حكام اقوياء ثم الى اسقاط الدولة فى النهاية .

## الأسرة البويهية :

XXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXX

وفى الوقت الذى كان فيه السامانيون يحتضنون الثقافة الفارسية فى شرقى ايران... كانت هناك أسرة من الشيعة توسع حدودها من مازندران على بحر قزوين لى تضم معظم غربى ايران وبغداد نفسها فى نهاية الامر ، وكانت هذه الأسرة هى الأسرة البويهية التى سميت باسم مؤسسها ابن بويه ، والتى ظلت حتى استولى الاتراك السلجقة على بغداد سنة ١٠٥٥ م . وكان البهويهيون أول أسرة هامة فى ايران تعتنق المذهب الشيعى ، وهو المذهب الذى أصبح غالبا فيما بعد فى معظم أنحاء ايران . واتخذوا لهم كذلك لقب شاهنشاه ( ملك الملوك ) الذى كان شائعا فى ايران قبل الفتح الإسلامى كما حاولوا ربط نسبهم إلى البيت الملكى الساسانى ، وبالرغم من أن الخلفاء العباسيين كانوا سنيين ، فقد رأى الحكام البهويهيون الذين اغتصبوا سلطات الخليفة الزمنية ان من الحكمة ألا يستبدلوا الخليفة بخليفة آخر شيعى ، بل يتركوه فى منصبه ، ومع ذلك كان الخلفاء ضعيفى النفوذ ، وكانوا يولون أو يخلعون بأشارة من البهويهيين ، لكن رهبة منصب الخليفة أبقت على الخلافة ، وكانت مجرد محاولة إلغاء المنصب كافية لاجداث ضجة فى أنحاء العالم الإسلامى كله .





## الغزو التركي :

XXXXXXXXXXXXXXXXXXXX

منذ عصر الدولة الاكمنية ، اعتادت القبائل التركية الهجرة من وسط آسيا نحو الهضبة الايرانية . وقدر للممالك الايرانية ان تقع في يد القبائل التركية الوافدة ، وقد عمل الجنود الاتراك من المرتزقة في حرس الخليفة لعدة قرون ، وقد تطوعوا أيضا في الجيوش السامانية . وبدأ الاتراك يقومون بدور الحرس المميزين عن غيرهم ، ووصل بهم الامر في القرن التاسع الى ان أصبحوا يستطيعون ترشيح وخلع سادتهم ، والواقع ان ازدياد عدد الحراس الاتراك جعل عددا من الخلفاء ينقلون بلاطهم الى مدينة سامرا التي اقيمت شمال بغداد ، وقد أصبح الاتراك معروفين بجرائمهم العسكرية ولم يمض زمن طويل حتى ازداد عددهم في القوات العسكرية في الشرق الأدنى ، وكانت المرحلة النهائية هي تكوين دول تركية في هذه المنطقة . . . وقد نشأت اول هذه الدول — كما قدمنا — على حساب السامانيين حينما استطاع البتكين وهو أحد العبيد الاتراك في خدمة الحكام السامانيين أن يرتقى الى أحد المناصب العالية ثم يكون الدولة الغزنوية .

وكان الاتراك السلاجقة هم خلفاء حكام غزنة ، ولكنهم سرعان ما أسسوا امبراطورية اعظم من سابقتها امتدت من وسط آسيا حتى البحر المتوسط .

وحينما حل السلاجقة في وسط ايران وغربها ، كان كثير من أجزائها يحكمه ولاية صغار يمسك بعضهم برقاب بعض ، فأسقط السلاجقة الدويلات المحلية ، ووحّدوا آسيا المسلمة واعتنقوا

الاسلام بحماس عظيم . . . وتفصيل الامر ان قبيلة من الاتراك  
الرحل كانت أكثر قوة مما عداها من القبائل ، وكان محمود الغزنوى  
قد اقطع أفرادها مقاطعة بالقرب من بخارى ، ثم اجلاهم بعد ذلك  
الى خراسان ، فثار زعيمهم طغرل بك وقادهم لسحق قوة الغزنويين ،  
ثم شق طريقه بعد ذلك عبر ايران الى بغداد ، ففتح الخليفة  
العباسي له ابوابها فى عام ١٠٥٥ م وسر الخليفة بمنح طغرل بك  
لقب «ملك المشرق والمغرب» ، ثم رجع طغرل الى الرى ، واتخذها  
عاصمة له وأسس دولة السلاجقة التى استطاع فرعها الرئيسى  
ان يحكم حوالى مائة عام من البوسفور الى التركستان الصينية أما  
فروعها الصغيرة فقد امتدت سلطتهم الى مدة أطول من ذلك .

وقد صار هذا العصر احد العصور المهمة فى تاريخ الحضارة  
الايرانية لأن الاتراك البدو الأميين سرعان ما وضعوا الفرس فى  
المناصب الرئيسية وهكذا تغلبت ايران من الوجهة الثقافية على  
السلاجقة ، أما فى الاناضول فقد كان السكان مسيحيين ، وكان من  
سياسة السلاجقة ان يرسلوا الرحل من الاتراك الشديدي البأس  
لكى يقاتلوا البيزنطيين او الممالك المسيحية فى جورجيا وأرمينيا لكى  
يطردوهم من الاراضى الاسلامية .

وأعقب طغرل ابن أخيه الب أرسلان الذى حكم من ١٠٦٣  
الى ١٠٧٢ م وقد اتخذ ايرانيا فذا هو « نظام الملك » وزيرا له  
او رئيسا لوزرائه . وقد أشعل الب أرسلان حروبا كثيرة فغزا  
سورية . وهزم الامبراطور البيزنطى رومانوس ديوجنس وأسره ،  
الا أن الب أرسلان قتل بيد واحد من الأسرى بعد ذلك ، وخلفه ابنه  
ملكشاه الذى شغل نفسه بالحروب والصيد وبقي « نظام الملك »  
وزيرا واجتمعت فى يديه جميع أزمة الامور فى الدولة .

ونظام الملك قوام الدين هو الذى أوجد نظاما اقطاعيا عن  
طريق اعطاء هبات من الارض للضباط العسكريين ، وبهذا ضم

ترعما إلى الأتراك إلى طبقة الملاك الأرستقراطيين من الفرس ، وقد سجل تجاربه العملية في رسالة عنوانها «فن التاريخ وفن الحكم» . وكان السلاجقة يذهبون مذهب أهل السنة ، فيتشددون كثيرا .

مع الشيعة ، وكانت هذه الفرقة الأخيرة قد قويت جدا في إيران منذ العصر البويهى، وكانت أهم مقاومة لها تظهر من فرقة الاسماعيلية بقيادة الحسن بن الصباح وهي الفرقة التي عرفت في العالم الغربى باسم السفاكين Assassins وقد وزعوا عملاءهم من قلاعهم القوية في شمالي إيران وفي أقصى الغرب ليثيروا الاضطرابات في البلاد وليقوموا بتنفيذ اغتيالات سياسية ، وكان « نظام الملك » أحد ضحاياهم . وقد عجز خلفاء ملكشاه عن الاحتفاظ بتماسك الدولة . وسرعان ما فقدوا سورية وآسيا الصغرى وفضلا على ذلك فقد استطاع الأتابكة أن يصلوا إلى درجة من القوة بحيث أخذت إيران تتمزق إلى دويلات شبه مستقلة .

وكان سنجر الابن الثالث لملكشاه آخر سلطان من السلاجقة وفي أواخر حياته بدأت علامات الاضطرابات الداخلية تعم الدولة نظرا للتهديدات المستمرة من الخارج ، فقد جاءت قبيلة القره خطاي التركية المغولية من أقصى الصين وهزمت سنجر في عام ١١٤١ واحتلت إقليم ما وراء النهر .

وبعد موت سنجر ، استولى سلاطين الدولة الخوارزمية على أراضي الدولة السلجوقية بسرعة . وكان اتسز أول سلاطين الدولة الخوارزمية وقد حكم فيما بين عامي ١١٢٨ م و ١١٥٦ م ، وقد وسع حفيده السلطان محمد من ١٢٠٠ — ١٢٢٠ م الدولة الخوارزمية فشملت جميع إيران ، وكان على وشك التقدم إلى بغداد عند ظهور المغول .

## أغارات المغول :

المغول في إيران

أصبحت القبائل التركية جزءا من المدنية الإسلامية التي أصبحت متينة البنیان ، ولكن خلفاءهم من المغول الذين وفدوا من الشرق الأقصى كانوا بعيدين عن ثقافة الشرق الأوسط . وكان المغول يمثلون الى حد ما ذروة الفزوات التي دامت قرونا ضد إيران من الاجناس الواحدة من اقليم الاستبس الواقع فى اواسط آسيا . وكان المغول مثل أسلافهم يعتمدون على النظام الصارم وعلى رماة السهام الذين يمتطون صهوات الخيل ويعتمدون على سرعة الحركة . وكانوا خبراء فى استخدام الارهاب وتكتيك الطابور الخامس كسياسة عسكرية مدبرة ، والواقع انهم كسبوا كثيرا من المعارك قبل ان يشتبكوا مع العدو لانه غالبا ما كان يفقد روحه المعنوية عند سماعه القصص الرهيبة التي كان يحكيها المهاجرون من جماعات المغول . (١)

وقد ولد تموجين حوالى عام ١١٦٠ م ، وهو الشخص الذى قيضت الاقدار له قيادة قبائل المغول عبر آسيا متخذا لقب جنكيزخان ، وسرعان ما استطاع ان يقود طوائف الرعاة وأن يكتسح البلاد جنوبا وشرقا ويسيطر على الصين المتحضرة . وفى عام ١٢١٩ م اتجه غربا ، ثم توقف على حدود الدولة الخوارزمية ليرسل رسلا الى السلطان محمد الذى استنكف ان يتصل بهؤلاء البرابرة

Iran, Richard N. Frye P. 55.

(١)



غير المعروفين ، فكانت النتيجة التدمير السريع لدولته فقد سار الجيش المغولى قدما للاستيلاء على بخارى وسمرقند وبلغ و مرو ، فحوصرت المدن التى أبدت مقاومة ثم اجتاحت وأحرقت ، وكثيرا ما محيت من فوق سطح الارض ، وسقطت نيسابور فى عام ١٢٢١ م وقتل سكانها وجميع الكائنات الحية بها . ولكن جنكيزخان لم يؤسس حكما مغوليا فى فارس ، اذ انه ترك هذا الامر لحفيده هولاكو ، وقد فتح هولاكو ايران وسقطت بغداد فى يده سنة ١٢٥٨ بعد أن قتل آخر الخلفاء العباسيين ، وأصبحت ايران مركز حكم أسرة جديدة من المغول ، وهكذا انقطعت صلة ايران للمرة الثانية ولأول مرة منذ عصور ما قبل الفتح الاسلامى عن بقية بلاد الشرق الأدنى وأصبحت مرتبطة سياسيا وثقافيا بوسط آسيا أكثر مما كانت مرتبطة بالبحر المتوسط . وكان حكام المغول فى ايران من البوذيين أو المسيحيين حتى حكم غزان ( ١٢٩٥ - ١٣٠٤ م ) الذى اعتنق الاسلام . وبالرغم من أن المغول خربوا كثيرا من المدن وقتلوا عددا كبيرا من المسلمين ، فان اعتلاء غزان العرش ادخل الدولة فى عهد ذهبى جديد ، فأخذت تسود البلاد روح التسامح الدينى . وصار طابع البلاط فى مدينة تبريز العاصمة اسلاميا فارسيا تماما ، وكانت الادارة الرشيدة والرخاء الشامل أهم أهداف الحاكم مع فرض ضرائب عادلة تجمع بانتظام وسن قوانين منسقة وإيجاد أمن داخلى .

وشخصية غزان تعتبر صورة من صور البطولة ، ولكن وزيره الكبير « رشيد الدين » كان أيضا معادلا له فى فضائله . وكان رشيد الدين مواطنا فارسيا ، وكان فى بداية أمره طبيبا محترفا ،

ثم صار بعد ذلك مؤرخ البلاد والمنظم الرئيسي للدولة في عهدى  
غزان وأولجاتيو .

وعقب موت الخان أبو سعيد سنة ١٣٣٥ تصدعت الدولة  
المغولية في إيران وأخذ عدد من الأمراء والزعماء يحارب بعضهم  
بعضاً من أجل الاستيلاء على أجزاء الدولة ، وكانت الجيوش المغولية  
قد أصبحت منذ زمن تركية أكثر منها مغولية . ولذلك حينما ظهر  
تيمور على المسرح ظهر بصفته رئيساً للقوات التركية ، ومع ذلك  
فقد بدأ حياته العملية يحلم باستعادة امبراطورية جنكيزخان المغولية  
الواسعة ، وعلى أية حال فقد جاء تيمور الى إيران كفاتح مسلم  
جاء يحارب ضد الأمراء المسلمين .

## الدولة التيمورية :

XXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXX

وقد ولد تيمور بالقرب من سمرقند في عام ١٣٣٣ م ، وهو ابن حفيد رئيس قبيلة برلاس التركية ، فلما أصبح سيدا على اقليم ما وراء النهر ، وجه قوته الجديدة نحو الغرب ففتح خراسان ومازندران وسجستان في عام ١٣٨٠ واستولى على اذربيجان وجورجيا وغربي ايران في عام ١٣٨٤ م وغزا اقليم فارس كله في عام ١٣٩٢ ، ثم سار الى بغداد وسورية .

وكان تيمور مغامرا تفوق على اسلافه في سياسة الارهاب ، وهو معروف بأهرامات الرعوس التي كورها وبالأعمال الوحشية التي كانت تصل الى حد دفن الحاميات التي كانت تقاومه حية .

ولما توفي تيمور لم يكن في سمرقند من أهل بيته الذين يمكن ان يخلفوه على العرش الا اثنان : حفيده وابن اخته ، وكان ابنه الرابع شاهرخ في هراة ، فاستطاع ان يظفر بالسيطرة على هراة وخراسان وما وراء النهر بعد منازعات وحروب عائلية استمرت سنة تقريبا ، كما ظفر ابنه الثالث ميرانشاه بالسيطرة على الجزء الغربي من ايران بما في ذلك تبريز وبغداد ولكنه سرعان ما شغل بالمنازعات بين اثنين من ابنائه .

وفي عام ١٤٠٨ استفادت قبائل « قره قويونلو » من هذا الوضع فاستولت على اذربيجان . وفي عام ١٤١٠ استولى رئيسها قره يوسف على بغداد ، وتمكن ابنه بعد ذلك بسنوات من السيطرة على اقليم اصفهان ، وظل حكام قره قويونلو يحكمون حتى عام ١٤٦٩ الى أن تمكنت قبائل آق قويونلو من هزيمة منافسيها .

وفى الشرق حكم شاهرخ — من عاصمته هراة — جميع  
أجزاء القسم الشرقى من ايران حتى عام ١٤٤٧ م وهزم قبائل  
قره قويونلو فى تبريز وطردهم الى أرمينيا ، ولكنه أجبر فى النهاية  
على تركهم يستولون على الاقليم الغربى من ايران . (١)  
اما عن الايرانيين انفسهم ، فعند ما رأوا الخلافات السياسية  
تحوطهم من كل جانب وجهوا أنظارهم الى الناحية الدينية ، اى  
الى جماعات الدراويش والطوائف المختلفة كملاذ لهم من شرور  
العالم .... ولكن هذا كان له نتائج سياسية هامة .

---

(١) ايران ماضيها وحاضرها — دونالد ولبر صفحة ٧٨ و ٧٩



## العصر الذهبي للصفويين :

REPRODUCED FROM THE ORIGINAL MANUSCRIPT BY THE NATIONAL LIBRARY OF THE IRANIAN PEOPLE

تبع اضمحلال النفوذ التيمورى ظهور قوتين ، الازابكة فى تركستان والصفويون فى ايران ، وكان الأوائى عبارة عن قبيلة تركية ، يبدو أنها تسمت باسم احد المغول فى جنوب روسيا ، وما لبثت أن اتجهت ناحية الجنوب لى ترث السلطة التيمورية ، وكان أول حكامها فى التاريخ شيبانى خان الذى اتجه الى الهند بعد أن هزمه الازابكة حيث أسس امبراطورية ، وقد عرف خلفاؤه باسم الاسرة المغولية التى حكمت حتى خلع الانجليز آخر المغول فى عام ١٨٥٧ .

أما الصفويون فقد بدعوا كزعماء لجماعة من الدراويش الشيعة فى انريجان ، ولكن آمالهم اتجهت الى السياسة حينما فتح ضعف التيموريين أمامهم السبيل الى تكوين امارات صغيرة محلية . وقد نادى زعيمهم اسماعيل بنفسه زعيما لجميع الشيعة واتخذ لنفسه لقب شاه بعد ذلك بثلاث سنوات . وما لم يعمل اسماعيل جاهدا من أجل نجاح المذهب الشيعى فى الاسلام كان قد أصبح مجرد حاكم محلى فى ايران فى القرن السادس عشر ، ومن الممكن أن يقارن الانسان ظهور الصفويين فى ايران بحركة الاصلاح الدينى فى اوربا لأن الحركتين تتشابهان من بعض الوجوه . وكان اسماعيل يؤمن بضرورة الاستيلاء على مقاليد السلطة السياسية لى يستطيع غرس الدين الصحيح ، ولم تكن الحركة الصفوية حركة ايرانية قومية ، لأن اسماعيل كان يتكلم التركية ، وكان محبوبا من الأتراك الذين كانوا يسكنون الاناضول ، كما كان محبوبا من الفرس . . ولكن ظهور الدولة العثمانية فى الاناضول وفى العالم الاسلامى جعل

السلطان العثمانيين حماة للمذهب السني في الاسلام ، في حين أصبح الصفويون والفرس يمثلون الشيعة .

وفي عام ١٥٠٠ هزم اسماعيل قبائل « آق قويونلو » وجلس على العرش في تبريز ، وحوالي سنة ١٥١٠ م كان قد استولى على العراق وفارس وكرمان وهمدان وخراسان ، وشبقت قواته طريقها شرقاً حتى بلغت خيوة وأعلن المذهب الشيعي مذهباً رسمياً لإيران ، واستعمل القوة الغاشمة في تغيير مذهب السنيين الممتنعين .

وقد انكى التحول الى الشيعة عداوة الاتراك العثمانيين ضده ، وكان سلاطينهم في القسطنطينية قد صاروا خلفاء على جميع المسلمين السنيين ، وأصبح الشيعة في ايران يفصلون الكتلة السنية في وسط آسيا والهند وأفغانستان عن السنيين في تركيا والعراق ومصر ، والدول الاسلامية الاخرى الواقعة الى الغرب من ايران . (١)

وكان من الضروري ان تتنازع القوتان العظيمتان ، وفي سنة ١٥١٤ هزم السلطان سليم الشاه اسماعيل ، بفضل الدور الذي قامت به المدفعية العثمانية ، وعلى كل فقد حافظ اسماعيل على الدولة ... وكان الضغط الخارجي عاملاً قوياً في توحيد جميع أجزائها وإخلاص أهلها للملوك الصفويين والمذهب الشيعي .

وحكم الملك الصفوي الثاني الشاه « طهماسب » من ١٥٢٤ الى ١٥٧٦ ، وتمكن من الاحتفاظ بحدوده الشرقية ، ولكنه قاسي هزائم عدة في الغرب على يد السلطان العثماني سليمان القانوني

---

(١) ايران ماضيها وحاضرها - دونالد ولبر صفحة ٨٦ و٨٧

الذى استولى على العراق وتوغل حتى وصل الى تبريز واصفهان، فنقل « طهماسب » عاصمته من تبريز الى قزوین لينجو من التهديد التركى ، وحكم هناك فى بلاط متحضر ، يمتاز بالدقة والجمال .

وبعد مدة وجيزة اعتلى الشاه عباس الاكبر العرش ، وكان عليه أن يخوض معارك كثيرة لكى يقوى حكمه ، ولكنه بعد أن وحد البلاد ، وجه جهده ضد الازابكة فى الشمال الشرقى لأنهم كانوا يغيرون على خراسان ، وبعد أن أحرز نجاحا تاما فى هذا الشأن اتجه ناحية الغرب لكى يلاقى أعداءه الالاء أى العثمانيين واستطاع أن يستولى منهم على بغداد سنة ١٦٢٤ .

وهكذا أمن حدود ايران ، واستطاع الشاه بعد ذلك أن يوجه مبادئه لتشجيع التجارة والفنون .

ويوجد فى جميع أنحاء ايران وحتى فى قلب الصحراء ، آثار مثاوى لمبيت القوافل التى أقامها الشاه عباس ، ويرجع تنظيم معظم الاسواق فى المدن الايرانية وبخاصة فى اصفهان الى الشاه عباس الذى كان يبذل نشاطا كبيرا فى سبيل تنمية التجارة . وقد يكون من أجمل آثاره اصفهان نفسها فقد قام بتأسيس عاصمة فى اصفهان ثم شرع فى عام ١٥٩٨ فى تشييد المباني الجميلة ، وقد خصص فى وسط المدينة مساحة مكشوفة يبلغ طولها حوالى ١٥٠٠ قدم حيث كانت تمارس لعبة البولو او يقام السباق وكان الملك يحضر هذه المباريات ويشهدها من سراق كبير هو عبارة عن مدخل حديقته . وعبر الميدان يوجد جامع رائع يعرف باسم جامع الشيخ لطف الله الذى كان صهر الشاه عباس ، ويعتبر المسجد تحفة العمارة الصفوية .

ومن سوء الحظ ان الجانب الاقل نبلا وحكمة فى الشاه عباس قد ظهر فى علاقاته العائلية ، فقد قتل بعض ابنائه ، واهمل التعليم الآخرين وتمرينهم على طريقة الحكم ، حسدا وخوفا من أن يحل أحد محله فى الحكم ، فقوض بذلك مستقبل الدولة الصفوية ، فقد خلفه على العرش سلسلة من الملوك غير اللائقين نسبيا ، حتى راج مثل ايرانى هو « حينما توقف الامير الكبير عن الحياة توقفت ايران عن الانتعاش والرخاء » .

وقد اعقب الشاه عباس الشاه « صفى » والشاه عباس الثانى والشاه سليمان ، فتمتعت ايران تحت حكمهم بسنوات خلت تقريبا من الحروب برغم ان الاتراك العثمانيين كانوا يظهرون قوبات من العداء ، واجتهد هؤلاء الملوك فى زيادة الرخاء العام للدولة ، بيد أنهم كانوا احيانا قساة يستعملون الشدة ، ولكن زمام الامور انتقل بمرور الزمن الى ايدى كبار رجال الدين . وفى اثناء عهد الشاه سلطان حسين من ١٦٩٤ الى ١٧٢٢ م ثارت قبيلة من القبائل الافغانية تسمى غلزاى فى قندهار ، وأحرزت استقلالها ثم حذت قبيلة ابادى حذوها فى هراة ، وفى عام ١٧٢٢ قاد محمود بن ميرويس القبائل لفتح كرمان ، وتقدم الى اصفهان ، وحين ذاك نزل الشاه حسين عن الملك وتوج هو بنفسه محمودا ملكا على ايران ، ولكن البلاد سرعان ما انقسمت الى مناطق متفصلة ، فسيطر محمود وخليفته اشرف على اصفهان وفارس وكرمان من ١٧٢٥ - ١٧٣٠ واحتلت روسيا القيصرية السواحل الغربية والجنوبية لبحر قزوين ، وزحف الاتراك العثمانيون على غربى ايران ، ولم يقفوا حتى عقد اشرف اتفاقا يوبيا معهم .



وقد أثار سقوط اصفهان ثائرة اتباع الصفويين وبخاصة خسايط تركى جمع قواته لطرده الافغانيين ، وقد نجح فى هذا فى سنة ١٧٣٦ وتوج نفسه ملكا ، ولم يكن « نادرشاه » تركيا من قبيلة الانشار محسوب ولكنه كان سنيا أيضا ، وقد أخفق نادر فى محاولاته لاعادة الشعائر السننية فى ايران لأن جذور المذهب الشيعى كانت قد تعمقت فى نفوس الناس لدرجة لم يكن من السهل اقتلاعها ، ولم يقنع « نادرشاه » باسترجاع الحدود الصفوية ، بل وجه نظره ناحية بلاد أخرى لكى يفتحها .

وفى سنة ١٧٣٩ قام بغزو الهند ، واستولى على غنائم كثيرة من المغول فى دلهى منها الماسة كوهينور الشهيرة وعرش الطاووس الشهير المرصع بالجواهر . ثم توجه بجيشه بعد ذلك الى بخارى وسمرقند ففتحهما وفاز كذلك فى بلاد القوقاز على الجورجيين والروس .

وقد حصل « نادرشاه » على أموال طائلة نتيجة لغزواته . وعين نادر افرادا من اسرته حكاما على اقاليم ايران ، ثم ظن أن مؤامرة دبرت ضده بوساطة ابنه رضا قلى ميرزا ، فأمر بسمل عينيه ، غير أن تأنيب ضميره بعد ذلك دفعه الى القيام بأعمال تدل على الجنون والقسوة ، فكان النظام المفروض على كل من الشعب والجيش قاسيا جدا . وكان عصره يمثل عهدا قصيرا من القوة ، ولكن أهالى البلاد لم يظفروا بأية فائدة من غزواته الخارجية ، وكان جيشه الضخم يعيش بعيدا عن موطنه الاصلى ، لأنه كان يسير من الغرب الى الشرق وبالعكس ، وكانت الضرائب الثقيلة تفرض على السكان ، وقد قتل نادر بيد واحد من ضباطه فى عام ١٧٤٧ فى اثناء الثورات التى قامت فى الاقاليم .

وحكم ابن اعمى لنادر — هو شاه رخ — خراسان من عام ١٧٤٨ الى ١٧٩٦ م ، ولكن حدث فى هذه المدة أن ظفر الافغان باستقلالهم ، وتمزق غربى ايران بواسطة الحروب الداخلية ، وسقط فى ايدى دولتى الزنديين والقاجاريين ، فصار كريم خان رئيس الزند — وهى القبيلة البدوية المتنقلة فى اقليم فارس — سيدا على اصفهان وشيراز وأغلب الجزء الجنوبى من ايران ، ونجح فى صد القاجاريين ، وتلقب بلقب وكيل أو نائب الملك متخفيا بذلك وراء اسم أحد الصفويين الضعاف ، واستمر فى الحكم من ١٧٥٠ الى ١٧٧٩ ، فزين عاصمته شيراز بالقصور والمساجد والحدائق والسوق الطويلة المسقوفة ، ولا تزال المدينة تحتفظ بجزء كبير من طبيعتها المعمارية التى سادت فى ذلك العصر .

## الدولة القاجارية :

\*\*\*\*\*

أما القاجاريون ، فكانوا إحدى القبائل السبع التي ساعدته  
الشاه « اسماعيل » أول ملوك الصفويين ، وقد انخفض شأنها  
في عهد « نادرشاه » ولكنها ظهرت على المسرح في مازندران بعد  
وفاته ، وقد وجد القاجاريون قائدهم الأعظم في شخص آقا محمد  
خان ، الذي وحد فروع القبيلة وقوى أمره في عام ١٧٧٩ ، فاستولى  
على إيران وأصبح أول ملوك الدولة القاجارية (١) ، وهو نموذج  
من نماذج الطفلة المتعطشين للدماء (٢) وقد هاجم آقا محمد في  
الجنوبي قوات لطفعلی خامس الزنديين واضطره إلى اللجوء إلى  
كرمان ثم قبض عليه وعذبه حتى مات ، وعاقب أهل كرمان ، فأمر  
بسمل أعين ٢٠٠٠ من سكانها ، ولكنه لم يلبث أن قتل هو نفسه  
في عام ١٧٩٧ ، وكان قد ظفر بالسيطرة على جميع إيران بالإضافة  
إلى جورجيا . وكان ابن أخيه وخليفته فتحعلی شاه الذي حكم من  
١٧٩٧ إلى ١٨٣٤ رجلا ذا أخلاق تختلف عنه تماما ، وكان عهده  
فاتحة قرن تمتعت فيه إيران بمزيج من الهدوء والسلام النسبيين . . .  
ولكنها قاست فيه انهيارا خلقيا وسياسيا ، وفي أثناء حكمه بدأت  
روسيا وغيرها من الدول التي لها مصالح في المنطقة في التدخل  
في الشؤون الداخلية لإيران وحددت بذلك معالم مرحلة من مراحل  
تاريخ إيران الحديث .

---

(١) إيران ماضيها وحاضرها - دونالد ولبر صفحة ٩٦ .

Iran, Richard N. Frye P. 62.

(٢)

## الفصل الثالث

القوية الحديثة والشافعية الدولية على إيران





لقد ظلت ايران تخضع مدة طويلة - كفالبيية بلاد الشرق الاوسط - للافكار والانظمة والتقاليد التي سادت فى العصور الوسطى ، ولما بدأت تخرج من ظلام الماضي وتستقبل طلائع العصر الحديث ، كان الضغط الاوربى قد أخذ فى التغلغل فيها حتى وصل الى طهران العاصمة . (١)

وكان تهديد نابليون للهند هو الذى اثار اهتمام بريطانيا بايران ، ولكن الروس كانوا يحلمون بمنفذ لهم الى البحار الجنوبية منذ أيام بطرس الاكبر . وكانت جيوش بطرس قد تغلبت على باكو سنة ١٧٢٣ ووصلت القوات الروسية حتى الشاطئ الجنوبى لبحر قزوين ، ولكن الروس انسحبوا تحت حكم خلفاء القيصر الى شمال القوقاز ، ثم استأنف الروس تقدمهم تحت حكم القيصر بول الذى عرض عليه عرش جورجيا سنة ١٨٠٠ بعد موت آخر حكام هذه الدولة الصغيرة ، وقد قبل القيصر هذا العرض . وقد كون القيصر قوة حربية لى يهرض سلطته على جورجيا ، وسرعان ما دخل فى نزاع مع ايران . (٢)

وهكذا دخلت ايران فى نطاق الاهتمام الاوربى منذ وضع بطرس الاكبر قيصر روسيا قواعد السياسة

---

(١) السياسة والاستراتيجية فى الشرق الاوسط - حسين فوزى النجار

صفحة ٢٤٤

Iran, Richard N. Frye PP. 63-64.

(٢٢)

الروسية فى التوسع والامتداد والوصول الى البحار المفتوحة والمياه  
الدفينة ، وأصبحت هذه القواعد عقيدة سياسية اعتنقها قياصرة  
روسيا من بعده ، وأضحت قاعدة أساسية فى سياسة روسيا  
الخارجية ، وأخذ الروس منذ ذلك الوقت يتوسعون فى قلب آسيا  
ويستولون من أطراف ايران الشمالية الى الغرب من نهر آرسى ،  
ويحاولون التسرب عبر أراضيها الى مياه الخليج العربى . (١)

وفى عهد فتحعلى شاه بدأ الاتصال المباشر بالدول الاوربية ،  
فعقدت معاهدة تحالف بين فرنسا وايران فى عام ١٨٠٧ ، وتوقع  
نابليون ان تفتح هذه المعاهدة أمامه طريق الغزو الفرنسى للهند عن  
طريق البر فى مقابل ان تمد فرنسا ايران بالاسلحة ، وتستقبل بعثة  
عسكرية لتدريب جيشها لتتمكن بذلك من مقاومة روسيا القيصرية  
التي ضمت جورجيا فى عام ١٨٠١ . (٢)

وكان البريطانيون اول من عقدوا معاهدة مع فتحعلى شاه ،  
وقد أخذ سيرجون مالكوام ممثل شركة الهند الشرقية يتفاوض من  
اجل عقد معاهدة تجارية لكى تساعد الانجليز ضد الفرنسيين اذا  
وصلوا الى ايران . وعلى كل لم يعمل البريطانيون شيئا فى سبيل  
ابرام المعاهدة ولم يبدوا أى اهتمام بها لأن الفرس كانوا يخافون  
الروس أكثر مما كانوا يخافون الفرنسيين فى حين كانت بريطانيا  
تأمل نى أن تنشده عون الروس ضد نابليون ، ولذلك بقيت المعاهدة  
معلقة .

ولكن التقارب الذى حدث بين نابليون الاول والقيصر اسكندر  
الاول امام البريطانيين فرصة أخرى ، فقد ظلوا هذه المرة فى

---

١٠١١ - سياسة والاستراتيجية فى الشرق الاوسط - حسين فوزى النجار

صفحة ٣٤٤ .

(٢) ايران ماضيها وحاضرها - دونالد ولبر صفحة ٩٧

ايران . . . وكانت البعثات البريطانية الى ايران مكونة من بعض مشاهير الرجال ، وكانت النتيجة ان ظهرت عدة كتب اثار اهتمام البريطانيين الى ايران . وكتاب حاجى بابا الاصفهائى الذى كتبه جيمس مورير أحد نتائج طلائع هذه البعثات الدبلوماسية . ( ١ )

وبعد وقت قصير حل الروس محل الفرنسيين فى تهديدهم للهند ، واستطاعوا بعد سلسلة من الحملات الصغيرة فى المناطق الواقعة عبر جبال القوقاز ان يتغلبوا على الجيش الايرانى ، ووقعت معاهدة جولستان سنة ١٨١٣ التى اخذت روسيا بمقتضاها معظم البلاد الواقعة عبر القوقاز وكذلك الحق المطلق فى الاحتفاظ بأسطول فى بحر قزوين ، وساد السلام حتى سنة ١٨٢٥ حينما احتلت القوات الروسية مقاطعة من المقاطعات الواقعة عبر القوقاز لم تنص معاهدة جولستان على ان يأخذها أى من الطرفين ونشبت الحرب بينهما ، وبعد أن أحرز الايرانيون عدة انتصارات فى بادىء الامر ، اكتسح الروس كل شيء أمامهم واحتلوا تبريز سنة ١٨٢٧ وكانت القوات الايرانية تبلى بلاء حسنا ، ولكن ضعف القيادة ونقص المؤن وفساد الحكومة جعل أية مقاومة أخرى تبدو غير مجدية . . . ووقعت معاهدة التركمان التى رسمت الحدود الحالية بين ايران وروسيا ونصت على التعويضات التى تدفعها الدولة المغولية ، كما خولت الرعايا الروس فى ايران امتيازات من بينها عدم خضوعهم للقضاء الايرانى فى حالة قيام نزاع بينهم وبين غيرهم ، والواقع أنها اعطت القناصل الروس وحدهم المسئولية عن رعاياهم فى دولة اجنبية ، كما نصت المعاهدة على حق السفن الروسية فى الرقابة الحربية على بحر قزوين ، ومنح روسيا كثيرا من الامتيازات ، واعطى ملحق للمعاهدة — عقد بعد ذلك — روسيا حقوقا اقتصادية وجمركية خاصة .



ومنذ ذلك الوقت الى القرن العشرين ، أصبحت ايران موزعة بين المصالح المتعارضة لروسيا وبريطانيا ، فكانت روسيا تبني سياستها على أساس التوسع فى آسيا ، وتطمع فى أن تكون لها ميناء فى المياه الدافئة فى الخليج العربى ، فى حين حاولت بريطانيا جهد طاقتها للسيطرة على الخليج العربى وجميع الاراضى المجاورة للهند اعظم مستعمرة ظفرت بها (١)

وهكذا سارت سياسة ايران ، وهى تتأثر بتنافس كل من انجلترا وروسيا القيصرية ، فطورا تميل الى السياسة الانجليزية وتهادنها وطورا تميل الى جانب روسيا وتشايعها . . . وفى كل حالة كانت سياسة ايران على اراضيها تتهاوى تحت وطأة نفوذ كل منهما (٢)

ويعتقد الكثير من الايرانيين بأن معاهدة التركمان تعتبر بداية مرحلة جديدة فى تاريخ ايران ، فقد أفقدت ايران استقلالها وجعلتها العوية فى يد السياسة الانجليزية الروسية ، وسارعت بعد ذلك الدول الاوربية الأخرى تحذو حذو الروس فى الحصول على امتيازات ، وبدا الامر ، وكأن الحكومة الايرانية قد أصبحت مجردة من كل سلطة فى ممتلكاتها .

أما بقية فصول القصة فى القرن التاسع عشر ، فتحكى قصة تقدم الروس فى أواسط آسيا والتحركات المضادة التى قامت بها بريطانيا فى أفغانستان وايران . وكان الدبلوماسيون الانجليز والروس ينافس بعضهم البعض فى سبيل كسب ثقة الحاكم الذى كان طمعه سببا فى تسهيل مهمتهم وعند موت « فتحعلى شاه » سنة ١٨٣٤ اعتلى العرش محمد شاه حفيد الشاه السابق ، وبذل

(١) ايران ماضيها وحاضرها - دونالد ولز صفحة ٩٧ .

(٢) السياسة والاستراتيجية فى الشرق الاوسط - حسين فوزى النجار

جهده لتحسين الحالة الداخلية للبلاد ، وقد خطبت روسيا في أثناء عهده ود إيران حتى تتمكن من تدعيم نفوذها فيما أحرزته من ولايات القوقاز وتركستان . وقام محمد شاه بعدة محاولات فاشلة للاستيلاء على هراه من الأفغان ، الأمر الذي قابله البريطانيون في الهند بمعارضة شديدة . وعلى كل استطاع الجيش الإيراني سنة ١٨٦٥ إبان حكم « ناصر الدين » شاه أن يستولى على هراه مما جعل بريطانيا تعلن الحرب على إيران وقواتها المربطة في الجنوب ، وبعد قتال قصير الأمد توقفت الحرب وجلت إيران عن هراه وأقلعت عن كل مطالبها في أفغانستان بمقتضى معاهدة باريس التي أبرمت في عام ١٨٥٧ ، وقد منحت هذه المعاهدة أيضا امتيازات أجنبية وحقوقا تجارية خاصة لبريطانيا .

ومنذ ذلك الوقت اتخذ التنافس بين روسيا وبريطانيا على المسرح الإيراني صورة التدخل الاقتصادي ، وتطلب النشاط الصناعي المتزايد ، الذي ظهر في الغرب للحصول على المواد الخام وعلى الأسواق الجديدة لتصريف المنتجات المصنوعة ، فنظر إلى أقاليم بعيدة معينة على أنها مجال للغزو الاقتصادي الذي تطلب بدوره شيئا من التدخل السياسي ، وقد طبقت هذه السياسة في إيران في صورة التنافس في الحصول على الامتيازات .

واستمر البلاط الملكي المستبد في إيران يحكم كسالف هذه دون مبالاة بأفكار التحرر الجديدة التي انتشرت في الخارج والتي جلبها كثير من الإيرانيين الذين سافروا إلى أوروبا أو عاشوا فيها مدة ثم عادوا إلى إيران .

وقد حدث أول فتح اقتصادي أجنبي في إيران على يد البارون يوليوس دي رويتر الذي حصل سنة ١٨٧٢ على امتياز ضخيم لاحتكار إنشاء السكك الحديدية واستغلال المناجم وتأسيس بنك في

ايران وقد حصلت بريطانيا عن طريق رويتر على هذه الامتيازات لمدة سبعين سنة ، كما حصلت على الحق في أن تشرف على الاعمال الجمركية لمدة أربع وعشرين سنة .

ولما قام « ناصر الدين » برحلته الاولى الى اوريا في السنة التالية ، استقبل بفتور شديد في روسيا ، فألقى الامتياز عقب رجوعه ، ومع ذلك فقد عاد في سنة ١٨٨٩ فاسترضي رويتر بمنحه حق انشاء المصرف الامبراطوري لايران ، وفي عام ١٨٩٠ منحت شركة انجليزية حق احتكار الطبايق والدخان . ولكن الزعماء الدينيين للبلاد قادوا موجة من السخط عليها ، فأعلنوا تحريم استعمال الطبايق في ايران حتى ألغى حق الاحتكار ، كما جددت بريطانيا أيضا بعد عام ١٨٦٣ في انشاء خطوط البرق في جميع الاجزاء الغربية من ايران .

ولم تقف روسيا مكتوفة اليدين أمام هذه الاحداث ، ففي عام ١٨٧٩ وافق ناصر الدين شاه على انشاء لواء من القوازيق الفرس على النمط الروسي على أن يدربه ويقوده ضابط من الروس وأعدت هذه القوات سريعا في طهران وفي بعض المدن الشمالية الاخرى ، كما فتح مصرف روسي في طهران في عام ١٨٩١ . وفتحت السفارة الامريكية في طهران في عام ١٨٨٢ . . . وظفرت خمس عشرة دولة اجنبية على الاقل بحقوق وامتيازات اجنبية لرعاياها المقيمين في طهران في المدة التي تقع بين ١٨٥٥ — ١٩٠٠ . (١)

وهكذا اتسمت الفترة الاخيرة من القرن التاسع عشر بالضغط الانجليزي الروسي على البلاد وتغلغل النفوذ الاجنبي والانهيار المالي الذي اصاب ميزانية الدولة نتيجة لاسراف الشاه . والقروض

---

(١) ايران ماضيها وحاضرها — دونالد ولبر صفحة ١٠٠ — ١٠١

العدة التي عقدها مع البتوك المالية في كل من روسيا وانجلترا وما  
تبع ذلك من تغلغل نفوذ الدولتين في مرافق البلاد الداخلية .

وكان حريا بهذا الضعف الذي أصاب إيران في عهد ناصر  
الدين شاه أن يفقدها استقلالها ، ولكن تنافس الدولتين عليها قد  
حفظه لها وان لم يمنع تغلغل نفوذهما فيها . . . الا ان هذا التدخل  
الاجنبى في شئون البلاد كان سببا في اتجاه الحركة الشعبية الى  
اصلاح أداة الحكم وتخليص البلاد من النفوذ الاجنبى وامتيازاته  
العدة . (١)

ثم جد عامل آخر كان سببا في قوة الحركة الشعبية وعراققتها  
ووضوح مناهجها وغاياتها ، وهو قدوم السيد جمال الدين الافغانى  
الى ايران .

---

(١) السياسة والاستراتيجية في المشرق الاوسط - حسين فوزى النجار



## جمال الدين الافغانى :

\*\*\*\*\*

افغانى الاصل شريف النسب ، ينتمى الى الحسن بن على ، وقد فهم السيد جمال رسالته وما تقتضيه من اعباء ، فلم يستعبد به مال وعاش لافكاره ومبادئه . وقد طاف الافغانى بفارس والهند والحجاز والآستانة وأقام فيها ، ولكن اخصب زمنه وانفع أيامه ما كان فى مصر مدة اقامته بها من عام ١٨٧١ الى ١٨٧٩ ، ثماني سنين كانت من خير السنين بركة على مصر ، وعلى العالم الشرقى بما بذره من بذور نمت وازدهرت من بعده ، ويكفى أن نذكر من تلاميذه ومريديه لكى نتفهم مدى عمقه وتأثيره فى مصر أسماء مثل محمود سامى البارودى وعبد السلام المويلحى ومحمد عبده وإبراهيم اللقانى وسعد زغلول وأديب اسحق وغيرهم . وكان مثله الاعلى اقامة حكومة اسلامية واحدة تأتم بالإسلام وتعاليمه ، ولما رأى انه ليس فى الامكان خضوعها لرئيس واحد حين ذاك اكتفى بالدعوة الى أن ترتبط أجزاؤها بروابط محكمة ويكون لها مقصد واحد ، وتحكم الاقطار كلها بحكومات اساسها العدل والشورى واختيار خير الناس لتولى الامور .

وتوجه السيد جمال الدين الافغانى الى ايران بناء على دعوة من الشاه ناصر الدين ، وهناك تلقاه الشاه والعلماء فى حفاوة ، ولكن سرعان ما دببت الغيرة فى نفس الشاه وأحس خطره ، فتنكر له ، فاستأذن السيد فى الرحيل ورحل الى سان بطرسبرج عاصمة روسيا حين ذاك ، وأقام بها نحو ثلاث سنين من ١٨٨٦ — ١٨٨٩ . ويبدو أن الافغانى قد اتجه الى روسيا لتحقيق امرين : اولهما حل

المسلمين الروسيين وعددهم نحو ثلاثين مليوناً ، وكانوا يعاملون في عهد القيصرية معاملة ظالمة جائرة ، فلعله حاول الاتصال برجال الحكم آنذاك كي يُلطف من ظلمهم ويخفف من جورهم ، وقد عرف عنه أنه سعى عند القيصر في طبع المصحف وبعض الكتب الدينية للمسلمين الروس فأذن له في ذلك . وثانيهما ما كان لروسيا من أثر كبير في سياسة الشرق ومناهضتها للسياسة الانجليزية في آسيا وضغطها الشديد على الدولة العثمانية والعمل على تقطيع أوصالها .

وعلى كل حال انغمس السيد الافغانى في أثناء اقامته في روسيا في السياسة الدولية وحرص روسيا على سياسة انجلترا ، ونشر في الجرائد الروسية مقالات في السياسة الافغانية والفارسية والعثمانية والروسية ، ونقد السياسة الانجليزية ، وقابل القيصر فسأله عن آرائه في الشرق ، ثم سأله عن سبب خلافه مع الشاه ، فأجاب الافغانى بأن سبب الخلاف مطالبته بالحكومة التي تعتنق مبدأ الشورى ، فقال القيصر : الحق مع الشاه ، فكيف يرضى ملك أن يتحكم فيه فلاحو مملكته ؟ فقال السيد : اعتقد يا جلالة القيصر انه خير للملك ان تكون ملايين رعيته اصدقاءه من أن يكونوا اعداءه يترقبون له الفرص ، فلم يعجب القيصر هذا الحديث وقام علامة على الاذن له بالانصراف .

ثم سافر السيد الى اوروبا على نية ان يزور معرض باريس سنة ١٨٨٩ ، وفي أثناء سفره من روسيا الى باريس نزل ميونيخ في ألمانيا ، وتقابل مع الشاه ناصر الدين ، فعرض عليه العودة معه الى ايران ، واعتذر اليه عما كان ، ووعد ان يمهّد له طريق الاصلاح الذى يقترحه ، فرفض السيد أولاً وقبل أخيراً .

وفي طهران التقى حول الافغانى جمهور من العلماء والعظماء وتبلور فيه ما في نفوس الخريين من ميل الى الاصلاح ، فسعى هو

ومن التف حوله الى وضع المشروعات فى اصلاح الادارة واقامة العدل وتقنين القوانين وفوق ذلك تنظيم الحكم النيابى للبلاد ، والحركة تشتد وتمتد ، والشباه يظهر الاستعداد لقبول هذه المطالب والنفوس العاملة تفرح بقرب النصر والامل فى الخير ، ولكن سرعان ما اكفهر الجو وأنذر بالصواعق ، فقد وسوس الصدر الاعظم فى تركيا للشاه بأن الحكم النيابى يسلبه سلطانه ، والنظام الادارى والقانونى المقترح أعلى من مستوى الناس ونحو ذلك من مقالات السوء التى سمعنا ونسمع مثلها فى كل مكان وزمان يدور فيهما النزاع بين دعاة الاصلاح والتقدم ودعاة الرجعية والهزيمة .

فتجههم الشاه ، وأحس السيد الافغانى الخطر منه ، فخرج الى مقام «عبد العظيم» أحد حفداء الائمة — على بعد نحو عشرين كيلو متر من طهران — واهل ايران يعدون مقامه حرما من دخله كان آمنا ، واتخذة السيد مركزا لدعايته وخطبه ولائارة الراى العام لطلب الاصلاح ، وبعض العلماء والوزراء والضباط يحجون اليه ليسمعوا خطبه ويصفوا الى آرائه ، ويعودوا وقد شحنوا قوة كهربية بقدر تحملهم للشحنة ، وكلهم ثائر يريد الاصلاح ، واقام على ذلك أشهراً والبلاد يزداد غليانها ، ومركز الشاه والحاشية يزداد خطرا والمنشورات السريية تصل الى الشاه وتهده بالعدل أو العزل وبالحكم النيابى أو تولية غيره .

فما راع السيد الا خمسمائة جندى مسلحون يهجمون عليه غير حافلين بحرم الشيخ عبدالعظيم ولا بمرض السيد مرضا شديدا وسحبوه على الثلج الى دار الحكومة بهوان لا يمكن ان يتصور دونه فى الشناعة ، ومنها سافر الى البصرة يعانى الم المرض الذى اشتد عليه من هذا الحادث ، وكاد يودى به لولا لطف الله .

وقد كان لذلك كله نتائج بعيدة المدى ، فكيف يهان هذا الهوان السيد الافغانى العالى المنزلة فى دينه وشرفه وعقله ورغبته فى

الخير ؟ كيف يرجوه الشاه ان يأتى الى بلده ويعدده أن ينفذ اصلاحه  
ثم يعامله معاملة العبيد ؟

لقد آلى أن ينتقم منه شر انتقام ، والا تهدأ نفسه حتى ينزله  
عن عرشه ، وقد بر فيما أقسم ، فأخذ يكتب الى علماء الدين  
المسموعى الكلمة يهيجهم على الشاه ويصفه بأقبح الصفات ويبين  
ضرره على الأمة ويثير عاطفتهم الدينية ، ليثيروا عليه الشعب .  
وكان الشاه قد تعاقد مع شركة انجليزية — كما قلنا — على احتكار  
المطابق فانتهاز الفرصة وأبان الضرر على الأمة من هذا الاحتكار ،  
وأهاب برجال الدين أن يزودوا عن وطنهم ، فاستمعوا اليه وثاروا  
على الشاه ، وأثاروا عليه بقية الناس ، حتى اضطر الى فسخ  
العقد ، ودفع نصف مليون ليرة تعويضا للشركة ، فكانت هذه اول  
خطوات الانتقام (١) .

وقد دل اغتيال الشاه فى سنة ١٨٩٦ على وجود معارضة  
شديدة ضد الحكم المطلق ، وقد شاع ان القاتل كان من اتباع  
المصلح الشهير السيد جمال الدين الافغانى الذى كان يحاول ان  
يجدد ويحرر الاسلام وان يضع حدا للطغيان التقليدى (٢) .

وتولى العرش مظفر الدين ابن الشاه السابق من عام ١٨٩٦ ،  
الى ١٩٠٧ ، وكان قد امضى شبابه فى البحث عن الملذات عندما  
كان فى تبريز ، فلما تولى الملك لم يظهر أى اهتمام صادق بمهام  
الدولة ، وتكلفت رحلاته الى اوربا مبالغ طائلة ، تركت الخزانة  
خاوية على الدوام ، واخذ الامراء ورجال البلاط يكسسون الثروات  
فى وقت لا يستطيع الموظفون العموميون فيه الحصول على مرتباتهم ،  
وكانت العقارات الكثيرة فى أيدي عدد قليل من الملاك ، فى حين كان

---

(١) زعماء الاصلاح فى العصر الحديث — أحمد أمين صفحة ٩٨ القاهرة ١٩٤٨ هـ  
Iran, Richard N. Frye P. 67.

(٢)



الفلاحون يبيتون على الطوى ، وتهدمت وسائل القرى ، وزحف الجذب على القرى والحقول ، وأخيرا أدى احتياج ايران الى المال الى أن تطلب قرضا من روسيا في عام ١٩٠٠ قدره ٢٢٠.٠٠٠.٠٠٠ روبل بفائدة قدرها ٥ ٪ ، وكان من بين شروط القرض ان يستعمل جزء منه في تسديد جميع القروض المستحقة للدائنين الاجانب ، والا يكون لايران الحق في الاقتراض من أية جهة بدون موافقة روسيا الى أن يتم تسديد القرض ، وقد ضمنت الجمارك الايرانية أداء القرض ، وفي الوقت نفسه ، تجدد بين ايران وروسيا اتفاق سرى قديم ، ينص على عدم اعطاء الاجانب امتيازات بإنشاء السكك الحديدية قبل موافقة روسيا ، وأخذت روسيا تنشيء الطرق لسير العربات في الولايات الشمالية من ايران .

ولم يبق من هذا القرض الروسي بعد دفع نفقات زيارة الشاه لأوربا في عام ١٩٠٠ ، وسداد قرض المصرف الامبراطوري وتسوية بعض الالتزامات الاخرى الا مبلغ ٦٠.٠٠٠.٠٠٠ روبل فقط ، فطلبت ايران — على الفور — قرضا آخر ، فبادرت روسيا بتقديم مبلغ ١٠٠.٠٠٠.٠٠٠ روبل ، وبادر مظفر الدين بالسفر الى أوربا على الفور أيضا ، وفي عام ١٩٠١ أبرمت روسيا وايران اتفاقية جمركية نصت على فرض رسوم جمركية بسيطة على البضائع الواردة من روسيا ، وعلى فرض رسوم جمركية مرتفعة على البضائع الواردة من الدول الأخرى . (١)

وكان سخط الشعب منصبا على رئيس الوزراء واتباعه أكثر مما كان منصبا على شخص الشاه نفسه ، ولذلك فان المظاهرات والاضطرابات التي قامت في بادئ الامر كانت تهدف الى طرد رجال البلاط المغضوب عليهم... وأخيرا صار الجو مهيئا للتغيير ، فأخذت

(١) ايران ماضيها وحاضرها - دونالد ولبر صفحة ١٠٢

الثورة الظفر بالدستور تظهر قوية مفاجئة ، ولكن جذورها في الحقيقة كانت قد تأصلت في نفوس فريق متعلم من الشباب الذين اتصلت ثقافتهم بالأفكار التحررية التي سادت في بلاد الغرب ، وعضد التجار وبعض رجال الدين والاشراف هذه الحركة الدستورية على أمل أن تهيب لهم مزايا مادية أو سياسية . وفي يولية عام ١٩٠٦ تجمع التجار وغيرهم من سكان طهران وقصدوا دار السفارة البريطانية ليكونوا في مأمن من الاعتقال ، وترك رجال الدين المدينة ، وشغل بذلك النشاط الاقتصادي والاجتماعي فيها مما جعل الشاه يعد بالقيام بالإصلاحات ، وتجدد الضغط عليه مرة أخرى فأعلن الدستور في أغسطس سنة ١٩٠٦ ، واجتمع المجلس المنتخب في أكتوبر من السنة نفسها وقد مثلت فيه طوائف رجال الدين والتجار والاعيان ورجال الاعمال ، ولم يلبث مظفر الدين حتى مات ، ولما يمض ثلاثة شهور على افتتاح المجلس ، وارتقى العرش بعده محمد علي شاه .

فما هو موقف محمد علي شاه من الدستور ؟

لم يكن محمد علي شاه في قرارة نفسه يؤمن بالنظم الدستورية وكان يعتقد انها تؤدي الى الانتقاص من سلطانه ، فبيت النية على تعطيل المجلس النيابي والغاء الدستور ، ولم يردده عن تنفيذ عزمه عام ١٩٠٧ الا قوة الرأي العام الذي اخذ يتمثل في الاحزاب السياسية التي نشأت بعد اعلان الدستور ، والصحف التي انتشرت في البلاد تغذي الرأي العام وتنميه ، هذا بالإضافة الى عطف رجال الدين على الحركة الوطنية وتشجيعهم لها ، وفي هذه الاثناء أعلن نيا عقد الاتفاقية الانجليزية الروسية في عام ١٩٠٧ . وكانت بريطانيا في تلك الاثناء تساعد الدستوريين في المطالبة بوضع حد لوامرات الروس وتفوتهم في البلاط الايراني ، وكانت روسيا قد خرجت حديثا من حرب فاشلة مع اليابان ، كما كانت بريطانيا تحس بوجود

تهديد جديد في شكل خطة المانية تهدف الى انشاء خط حديدي يعبر بلاد الشرق الأدنى الى الخليج العربي ، فعرضت على روسيا عقد اتفاقية ، تساعد على صد المطامع الالمانية وعقدت روسيا وبريطانيا معاهدة في عام ١٩٠٧ تضمنت نصوصا تتعلق بايران وافغانستان . ففيها يتعلق بايران اتفقت الدولتان على احترام سيادتها واستقلالها ، الا انه بعد ذلك - وطبقا لهذه الاتفاقية نفسها - انشئت منطقتا نفوذ ، منطقة روسية واخرى بريطانية تفصلهما منطقة محايدة وكان على كل دولة منهما الا تشترك في النشاط الاقتصادي أو السياسي في منطقة النفوذ الخاص بالدولة الأخرى ، وقد حصل الروس على نصيب الأسد ، فقد حصلوا على شمال ووسط ايران حتى اصفهان في حين رضي البريطانيون بجنوب شرقى ايران بما فيه كرمان ويندر عباس ، وكان حقل البترول الجديد في المنطقة المحايدة .

ولم يستشر الايرانيون بطبيعة الحال فيما يختص بالاتفاقية الانجليزية الروسية ، وكان من نتيجة هذا ان ساءت سمعة بريطانيا التي لم تتحسن عقب الحرب العالمية الاولى او حتى في الوقت الحاضر . وقد ساء الوضع السياسي داخل ايران ، لان الشاه شعر بأنه يستطيع ان ينفذ سياسته معتمدا على تأييد الروس السرى له ان لم يكن معتمدا على تأييدهم العلنى .

وكانت القوة العسكرية الرئيسية في ايران في ذلك الوقت هي فرقة القوازي التي كان يدرّبها ويشرف عليها الضباط الروس . وفي يونية سنة ١٩٠٨ اصدر الشاه اوامره التي تلك الفرقة بأن تقض المجلس وتشئت اعضاءه ، فقام الجنود بتنفيذ هذه المهمة ، بقيادة الكولونيل لياكوف واعلنت الاحكام التعريفية ونفذ حكم الاعدام في غلاة المعارضين للشاه . وكانت طهران في قبضة الشاه ، ولكن الشعب في تبريز قام بثورة وطرد اتباع الشاه من المدينة ، فضربت



قوات الشاه الحصار حول المدينة ولكن الحصار رفع فى الربيع . حينما دخلت القوات الروسية المدينة بدعوى حماية الاجانب هناك ، وقد أمكن للقوات الروسية اخضاع الثوار . وتجمعت قوات ثورية أخرى فى رشت واصفهان وكانت قوة من اصفهان قوامها ٥٠٠٠ بختيارى بقيادة احد القواد القبليين قد تقدمت الى طهران وهزمت فرقة القوازيق الايرانية خارج المدينة ثم دخلت قوات الثورة الى المدينة فى يولييه سنة ١٩٠٩ . وفى هذه الاثناء اجتمع مؤيدو الدستور فى انحاء متفرقة من البلاد للزحف على طهران واعادة الدستور واعادة انعقاد المجلس ، ثم عزلت قوات الثوار الشاه عن العرش فلجأ الى السفارة الروسية ، ثم هرب الى روسيا ، وعين البرلمان الذى أعيد من جديد ابنه أحمد شاه ملكا على ايران ، ولكن بعد ان أصبح المجلس هو الحاكم الفعلى للبلاد .

ولم تكن الوزارات الاولى محنكة او ناجحة ، لأن البلاد كانت تعاني حالة اقتصادية تعسفة ، ولم يكن القانون والنظام مستقبين فيها . . .

ولكى تحل الحكومة الايرانية الصعوبات الاقتصادية ، لجأت الى استئجار مستشار مالى أمريكى سنة ١٩١١ ، وهو مورجان شستر الذى كان موظفا بوزارة الخزانة ، ولكنه لجأ الى ايران بصفة شخصية . وقام شستر بتنظيم جماعة مهمتها تحصيل الضرائب كما كان يأمل فى القيام باصلاحات عدة ، ولكنه أثار حقد الروس الذين طالبوا بطرده ، ورفض المجلس بادىء الأمر ، ولكن الروس بدعوا فى الزحف من تبريز الى طهران ، ومن ثم استجابت الحكومة الايرانية وأرسلت شستر الى بلاده ومن الصعب أن نعرف مدى قوة مركز الروس فى ايران قبل الحرب العالمية الاولى ، فقد كانوا يسيطرون سيطرة فعلية على الجزء الشمالى من البلاد ، وليس من السهل كذلك أن ينسى الايرانيون أن شعب تبريز هاجم



القوات الروسية احتجاجا على الاجراء الروسي في مسألة شستر  
ولم يعاد الروس الشعب فحسب ، بل قاموا بشنق عدد كبير من  
الزعماء الوطنيين علنا لانتقاما لهذا الهجوم ، وفي السنة التالية  
هتفت القوات الروسية مزار الامام على الرضا في مدينة مشهد  
بالمقابل بحجة ان بعض الايرانيين المعادين للروس قد تجمعوا  
هناك . . . وهكذا برغم اعلان الدستور وقيام الحياة النيابية في  
ايران ، فانها ظلت تهب الفوضى والارتباك لتغلغل نفوذ الدولتين  
المتنافستين عليها ، وكذلك لسوء احوالها المالية ، حتى اذا قامت  
الحرب العالمية الاولى اعلن الشاه حياد بلاده ولكنها لم تسلم من  
اضرار هذه الحرب واثارتها المقيتة ، فزادت حالتها سوءا على  
سوء .

## الفصل الرابع

الجزء الثاني من الكتاب

إيران والحرب العالمية الأولى



شهدت السنوات الاخيرة من القرن التاسع عشر تقدم  
الوعى الانسانى وغلبته ، وتقرير حقوق الانسان  
وحرياته ، كما تقدمت الفكرة الدولية ، وظهرت حاجة  
المجتمع الدولى الى الترابط والتآخى والتعاون ، فكانت  
المؤتمرات الدولية لتبادل المعونة ودعم اواصر الوحدة  
العالمية ومنع الحروب وتحقيق الرفاهية للانسانية  
جمعاء . . . وفى تيار هذه النزعة العالمية للتعاون ،  
بقيت النزعة القومية سائدة ومصلحة الدولة تقضي على  
كل ما عداها من مصالح مشتركة .

وكان للانقلاب الصناعى اثره فى احتدام التنافس  
العالمى حول مواطن الخامات ومصادر الانتاج وأسواق  
الاستهلاك فنشطت القوى الاستعمارية وكانت مثار  
الازمات السياسية والحروب الدامية .

وقد حفلت السنوات القلائل التى سبقت الحرب  
العالمية الاولى بالازمات السياسية التى اتخذت طابعها  
عنيفا كاد يلهب شرارة الحرب ويدفع العالم الى الكارثة  
المنتظرة ، فان الاتجاهات الدولية وتثعب المصالح  
والاهداف وحمى التسليح التى شملت كل الدول الكبرى  
كانت تؤذن بما ستكون عليه الحرب القادمة من شمول  
واتساع وفتك مروع . . . وانقسمت اوروبا الى  
معسكرين يتأهبان للساعة الرهيبة باعداد أسلحة  
الدمار واخفقت كل دعوة للسلام .



وفى الثامن والعشرين من يوتيه سنة ١٩١٤ اغتيل. ولى عهد النمسا وزوجته فى سراجيفو بيد طالبين صربيين ، وكانت الصرب على خلاف مع النمسا ، ولم يمر شهر على الحادث حتى بدأت الحرب العالمية الأولى . . . بدأت بكل أهوالها وخطارها ، فقد زحفت جيوش النمسا نحو بلغراد وهبت التروسيا تدافع عن الصرب وتحمى مصالحها فى البلقان ، وقامت المانيا لنجدة حليفها النمسا ، ووقفت فرنسا الى جانب روسيا ، واخترقت الجيوش الالمانية الاراضي البلجيكية لمهاجمة فرنسا وأعلنت انجلترا الحرب على المانيا دفاعا عن حياد البلجيك، وهى فى الحقيقة تدافع عن مصالحها وبهذا اشتبكت دول الوسط أو دول التحالف الثلاثى مع دول الوفاق الثلاثى ، وقد وقفت ايطاليا على الحياد فى بداية الحرب ولكنها اعلنتها على حلفائها فيما بعد ذلك فى ٥ من مايو سنة ١٩١٥ . وكانت تركيا قد دخلت الحرب قبل ذلك الى جانب دول الوسط دفاعا عن كيائها المهدد من دول الوفاق .

وامتدت الحرب الى أبعد من هذا واشتركت فيها دول عدة وشهد العالم لأول مرة فى تاريخه حربا عامة تصطبى البشرية جمعاء بنارها . (١)

ولكن ما موقف ايران من هذه الحرب ؟

لقد أعلن الشاه من جانبه حياد بلاده ، الا أنها لم تسلم من أضرار الحرب ، وغدت ميدانا للقتال ومسرحا عنيفا لمؤامرات المتحاربين ، فقد سارع الانجليز فى بداية الحرب بانزال قواتهم فى بوشير والمحيرة — واحتلال المناطق الجنوبية من ايران ، كما سارع الروس باحتلال المناطق الشمالية وحاولوا التقدم الى طهران

(١) السياسة والاستراتيجية فى الشرق الاوسط — دكتور حسين فوزى

النجار صفحة ٣٧١ .

العاصمة ، كما اجتاز الاتراك حدود ايران أيضا ، وجل هدفهم أن يحولوا دون اتصال القوات الروسية في الشمال بالقوات الانجليزية في الجنوب . وهكذا اندفعت هذه القوى الثلاث داخل ايران وكل منها تريد أن تقتطع لنفسها أقصى ما تستطيع الاستيلاء عليه منها .

وكانت دعوة الخليفة للجهاد الديني قد وجدت لها صدى بين بعض رجال الدين ورجال السياسة الذين نزحوا الى مدينة « كوم » وكونوا فيها « جماعة اجتهادي اسلام » بزعامة « سلمان مرزا » وكانت المفوضيتان الالمانية والنمساوية قد نزحتا اليها قبلهم خوفا من اجتياح الروس للعاصمة واصبحت كوم مقرا لمؤامرات الالمان والمتشيعين لهم والناقمين على الانجليز والروس من الايرانيين الوطنيين .

أما الالمان فكانوا يتابعون نشاطهم السري بين رجال القبائل ويحيكون المؤامرات لحمل الايرانيين على الثورة ضد الحلفاء والانحياز الى جانبهم ، واستغلوا عواطف الشعوب ضد الحلفاء ، وصاندوا في هذا المضمار نجاحا عظيما ، وما كان تشيع الوطنيين في ايران الالمانيا الا بغضا لسياسة الغرب الاستعمارية ونفوذه الجاثم فيها . وتوج الالمان نجاحهم في ايران عند ما كسبوا أقوى الاحزاب السياسية الى جانبهم وهو الحزب الديمقراطي الذي ظفر بأغلبية المقاعد في انتخابات المجلس التي أجريت في عام ١٩١٥ ، وكان للدعاية الالمانية اثرها الباهر في فوزه بأغلبته البرلمانية .

وهدف الالمان من هذه الدعاية الواسعة عرقلة الجهود الحربية للحلفاء في ايران ببثارة القبائل الايرانية على الانجليز والروس حتى يشغلوا بهذا الميدان ، فيتأثر مجهودهم الحربي في الميادين الأخرى كما كانت ترمى أهداف الدعاية الالمانية أيضا الى تدمير آبار البترول حتى تحرم الأسطول البريطاني من موارد تموينه

الرئيسية . . . وعملت في سبيل هذا الفرض على استمالة زعماء البختياري سادة اقليم خوزستان الذي تتركز فيه أهم موارد البترول الإيرانية ، ونجحت في استحالة قبيلة قشجاي في جنوب ايران والتي تأثرت بدعايتها أكثر مما تأثرت قبائل البختياري ، حتى أنها ثارت على الانجليز وحاربتهم أكثر من مرة . (١)

ولكى يواجه البريطانيون نشاط الالمان قاموا بتنظيم قوة عسكرية قوامها من البريطانيين والهنود والایرانيين بقيادة ضباط بريطانيين ، واطلقوا عليها اسم حملة البنادق من جنوب ايران (٢) ومن ناحية أخرى لجأت بالاتفاق مع الروس لاقامة سلسلة قوية من نقط الحراسة على طول الحدود الشرقية لإيران حتى تمنع تسرب الالمان الى افغان والهند .

أما في الشمال ، فقد تقهقر الروس أمام الهجمات التركية في منطقة القوقاز ، ولكن جيش المنطقة الواقعة عبر القوقاز الذي كانت تشترك فيه القوات الروسية اثبت انه أقوى من الأتراك .

وفي ربيع سنة ١٩١٦ توغل جيش القيصر في تركيا واستولى على ارزروم Erzerum أكبر قاعدة حربية تركية شرق الأناضول في حين تقدم الروس في الجنوب تجاه بغداد ، ولكن بعد ذلك استسلم الجيش البريطاني للأتراك في كوت العمارة في أرض ما بين النهرين ، واستولى الأتراك لتوهم على همدان ، وكانوا في طريقهم الى كازفين حينما حل الشتاء فأوقف المزيد من العمليات الحربية .

وبداً عام ١٩١٧ ، وقد أحرز البريطانيون انتصارات في أرض

---

(١) السياسة والاستراتيجية في الشرق الأوسط - دكتور حسين فوزي النجار  
صفحة ٢٨٩ .

Iran, Richard N. Frye P. 71.

(٢) .

ما بين النهرين وتوغل الروس في ايران . . . ولكن قيام الثورة البلشفية في روسيا وضع حدا للزحف على الاتراك ، وسرعان ما اندحرت القوات الروسية في ايران في صيف سنة ١٩١٧ ، ولم يمنع الجيش التركي من التقدم في الحال الى آذربيجان الا ضعفه وسوء تنظيمه .

وقبل نهاية سنة ١٩١٧ رجحت كفة دول المحور في شمال ايران والقوقاز وزحف الاتراك على آذربيجان وتغلبوا على القوات الارمنية الضعيفة التي حلت محل القوات الروسية المتقهقرة ، وقد جعل هذا من الضروري ان يقدم البريطانيون بحركة مضادة ، فنقلوا قوات الى شمالي شرق طهران للدفاع عن العاصمة ضد احتمال الغزو التركي ، وبقيت هذه القوات هناك حتى بعد اعلان الهدنة .

ولما خرجت روسيا من الحرب على اثر الثورة البلشفية سنة ١٩١٧ ، وسحبوا قواتهم من ايران ، اسرع الانجليز باحتلال نقط الحراسة التي كان يحتلها الروس على الحدود الشمالية الشرقية لايران ، كما سيروا حملة من بغداد في اتجاه باكو لتحول بين الاتراك والالمان والوصول الى مواردها البترولية ، ونجحت الحملة في الوصول الى باكو ، ولكنها اضطرت تحت ظروف قاسية للجلاء عنها ، وفي انسحابهم جعلوا يثيرون الآشوريين والأرمن حول بحيرة اورميا ( رضائية ) على الاتراك ، وقبل ان يصل اليهم السلاح والعتاد الذي وعدهم به الانجليز ، اوقع بهم الاتراك مذبحة مروعة ، وحملوهم على الهجرة الى شمال الجزيرة في العراق ، وظلوا عالة على الانجليز خلال الحرب حتى نزع الأرمن الى جمهورية أرمينيا السوفيتية وبقي الآشوريين في العراق مشكلة من مشاكلها الحاضرة .

وفي ربيع سنة ١٩١٨ انتصر الالمان انتصارا كبيرا في شمال

م ٧٦٠ ايران وحتمية التاريخ



فرنسا ، وكان لهذا الانتصار آثاره فى ايران ، فقد ثارت قبائل الكاشكاي وهاجمت القوات البريطانية ، وحثت الايرانيين فى الوقت نفسه على أن يهجروا فرقة حملة البنادق التابعة للبريطانيين فى جنوب ايران . وقامت معارك عدة قبل أن يمكن التغلب على تلك القبائل الثائرة .

وهكذا اصطلت ايران بغيران الحرب العالمية الاولى ، دون أن يكون لها دخل فى اثارها ، وعلى الرغم من أنها اعلنت حيادها فى بداية الحرب وعدم انحيازها الى أحد المتحاربين ، فإن الحرب فى حقيقتها لا تدور الا حيث تتصالح مصالح المتحاربين فى حيز من الارض . . . هو مصدر النزاع وساحة الصدام .

وتمخضت الحرب العالمية الاولى عن آثار لم تكن فى ذاتها وليدة الآلام التى خلفتها الحرب او المحنة التى مر بها العالم خلال اربع سنوات ، وانما ترجع فى اصولها الى تلك القوى التى لعبت دورها على المسرح العالمى قبل نشوب الحرب وكأنت اهم اسبابها، فالانقلاب الصناعى ونمو الوعى القومى وتقدمه فى الشعوب التى خضعت لنظام الامبراطورية ووحدتها التى قامت على أساس مركزى شديد الاوتوقراطية اذا استثنينا الامبراطورية البريطانية ذات النظام المرن ، ثم نمو الروح العسكرية نموا أصبح يهدد السلام بالاحتكام الى القوة وغلبة السلاح واخيرا تطور الوعى السياسى وظهور مذاهب جديدة فى الحكم والاقتصاد ونظام المجتمع . . . وبدأت هذه القوى وقد كشفت عن نفسها قبيل الحرب ، وكأنت سببا هاما فى اشعال نيرانها وتوقد لظاها واحتدام صراعها ، وانتهت الحرب لتكشف عن عرامتها فتخلق هذا العديد من المشكلات التى كان على مؤتمر الصلح أن يواجهها ويجد لها الحلول الملائمة .

وانعقد مؤتمر الصلح فى باريس فى يناير سنة ١٩١٩ ليواجه المشاكل التى خلفتها الحرب ، وفى هذا المؤتمر مثلت اغلب شعوب

العالم تمثيلا لم يسبق له مثل في اى مؤتمر آخر عقد من قبل ، وكان فى حقيقته مجمعا للدول الغالبة ، فان الدول المغلوبة لم تمثل فيه الا حينما دعيت لتسمع الحكم عليها ، ولم تشترك فيه الدول المحايدة ، واقصيت عنه الروسية التى خرجت على المجتمع الدولى بنظام لم يكن موضع رضاء الدول المنتصرة (١)

ولكن ما اثر انتهاء الحرب على ايران ؟

عندما آثنت الحرب بنهايتها ، كانت بريطانيا تفكر فيما تكون عليه علاقتها الجديدة بايران على هدى التطور العالمى الجديد فى السياسة والاستراتيجية وعلاقته بسياساتها واستراتيجيتها الامبراطورية ، فقد كانت ايران قنطرة العبور الى الهند ، كما انها تطل على البحار المفتوحة الى وسط وجنوب افريقية وجنوب شرقى آسيا ، ثم أصبحت ايران فى حد ذاتها هدفا استراتيجيا جديرا بالاغراء عند ما نبع بترولها وفاض غزيرا فى اوائل القرن العشرين وظفرت شركة انجليزية بامتيازها ، وهكذا عظمت أهمية ايران بظهور هذا العامل الجديد الذى اضحى مصدر القوى المحركة فى العالم .

وقبل ان تعلن الهدنة ، عاد التنافس بين روسيا وبريطانيا فى ايران أشد مما كان ، فان روسيا بعد ان خرجت من الحرب ، وقامت بثورتها اهتمت اول ما اهتمت بحماية البلاد المجاورة لها من النفوذ الاجنبى ، وناصرت قضاياها الوطنية لتدعم استقلالها فتكون هذه البلاد حاجزا قويا بينها وبين القوى المعادية ، فعملت فى ايران على ابعاد النفوذ الانجليزى واقصائه عنها فقد رأت خلال الحرب

---

(١) السياسة والاستراتيجية فى الشرق الاوسط - الدكتور حسين فوزى

النهار صفحة ٣٩٢ - ٣٩٣ .

كيف زحفت القوات البريطانية على باكو ، وكيف احتلت شـمـل  
ايران واصبحت خطرا قائما يهدد الاتحاد السوفيتى .

وقد خطى السوفييت خطوة أبعد من هذا عند ما أعلنوا حكومة  
ايران فى ١٤ من يناير سنة ١٩١٨ بنزولهم عن كل الامتيازات التى  
كانت لروسيا القيصرية فى بلادها واستعدادهم لمعاونتها على اخراج  
القوات البريطانية والتركية من أراضيها ، وان تقوم العلاقات بين  
الدولتين فى المستقبل على أساس الاحترام المتبادل .

ولم يغيب المرمى البعيد الذى تهدف اليه السياسة السوفيتية  
على اذهان الايرانيين ، ولم يشغلهم هذا الكرم السوفيتى عن أمانيهم  
القومية دون ما نظر الى هذا التقرب الروسى الجديد منهم ، وكان  
استرجاع كردستان وولاياتهم المفقودة فى أواسط آسيا والتى  
اغتصبها الروس من قبل ابان توسعهم الاستعمارى فى آسيا  
بعض ما عملوا على تحقيقه والمطالبة به .

أما بريطانيا ، فكانت حريصة على ألا تدع لاية قوة كبيرة  
بأن يكون لها نفوذ فى ايران . وفى هذا الاتجاه وضعت نصوص  
المعاهدة الانجليزية الفارسية سنة ١٩١٩ ، ووضعها مع حكومة  
ايران كل من لورد كيرزون وزير الخارجية البريطانية وسير برسي  
كوكس السفير الانجليزى فى ايران فى أغسطس من العام نفسه .

وكانت هذه المعاهدة قيـدا يهدد استقلال ايران ويجعل منها  
منطقة نفوذ بريطانية . فهى بعد أن تعترف فى المادة الاولى باستقلال  
ايران وحريتها وسيادتها ووحدة أراضيها ، تعود لتقيد هذه السيادة  
بالقيود التى فرضتها لمصلحتها ، فتجعل لنفسها الاشراف على مالية  
البلاد وجيشها ، وتفرض رجالها على الادارات الحكومية المختلفة  
بمثابة مستشارين لها وتلزمها بتبادل المعونة العسكرية وما يتبع



ذلك من احتلال الارض وانشاء المطارات والقيام بجميع التسهيلات اللازمة التي تفرضها الحرب عند اشتباك احدهما فيها .

ولم تلق هذه المعاهدة تأييدا لا في الاوساط الدولية ولا في دوائر الحلفاء ولا بين الايرانيين انفسهم ، فقد رأى الاتحاد السوفييتي فيها خطرا جديدا يهدد أمنه الاستراتيجي ، فقاومها منذ البداية ، وراح الحلفاء يتهمون بريطانيا بمحاولة كسب نفوذ جديد في مناطق لم تتناولها معاهدات الصلح بعد ان خرجت ظفيرة بنصيب الاسد في غنائم الحرب ، واخذ الوطنيون الايرانيون يطالبون بالغاء المعاهدة ويتهمون رجال حكومتهم بالرشوة التي أغراهم بها الانجليز لتوقيعها (١) وقد أبدت صحف باريس وواشنطن عدم موافقتها على الاتفاقية ، وبالرغم من أن أحمد شاه أيد الاتفاقية أخيرا فإنه كان لا بد من تصديق المجلس عليها ، وكان من الضروري أن ينتخب المجلس الوطني أولا ثم يدعى للانعقاد . ولم يحدث هذا بالمرّة لأن ثمة حكومة جديدة تولت الحكم سنة ١٩٢١ عقب انقلاب غير الموقف تغييرا تاما (٢) .

وكان الاتحاد السوفييتي جريا على سياسة التقرب التي اختطها حيال ايران ، والتي ظهرت بوادرها منذ عام ١٩١٨ قد انتهى بعد مفاوضات جرت بينه وبين حكومة مشير الدولة خلال عام ١٩٢٠ الى وضع اصول معاهدة تبرم بين البلدين وتقر علاقتهما السياسية على اساس ثابت وقد استهلّت هذه المعاهدة نصوصها باستنكار العدوان الاجرامى لحكومات القياصرة وحكومات اوربا على شعوب آسيا ، ثم نصت على الاعتراف باستقلال ايران استقلالاً

---

(١) السياسة والاستراتيجية في الشرق الاوسط - الدكتور حسين فوزي  
النجار صفحة ٤٧١ - ٤٧٢ .

(٢) Iran, Richard N. Frye P. 71.



تماما ، ونزل الاتحاد السوفييتى عن جميع الاراضى الايرانية التى استولى عليها القياصرة سنة ١٨٩٣ ، وأن يرجع خط الحدود بين الدولتين الى ما كان عليه عام ١٨٨١ ، كما نزل الاتحاد السوفييتى عن كل ما كان لروسيا من ديون قبل ايران وعن كل ما كان لها أو لرعاياها من امتيازات وحقوق اقتصادية وسياسية فيها .

وبين هاتين السياستين المتعارضتين اللتين سارتا على طرفى نقيض لكل من الاتحاد السوفييتى وبريطانيا ، لعبت ايران الدور الاول فى مستقبلها وجرى مجهودها القومى على حركة قوية تحدث القوة بالقوة ، فوقف رضا خان يحيى موات الهمم ويبحث حلاوة الامل فى نفوس أجذبت الا من اليأس ، واجتمع حوله كل ذى همة وخاض بأنصاره معركة الهزيمة فانقلبت نصرا مبينا ، وسطر نجاح حركته أعظم النتائج التى تمخضت عنها الحرب العالمية الاولى فى ايران فكانت ايران الجديدة التى قامت على انقاض آخر شاهات الاسرة القاجارية هى الدولة الوحيدة التى سلمت من براثن النفوذ الاجنبى فى الشرق الاوسط مع تركيا بعد الحرب العالمية الاولى .

وكان تصديق المجلس النيابى على المعاهدة الروسية — الايرانية فى ٢٦ من فبراير سنة ١٩٢١ ورفض المعاهدة الانجليزية — الايرانية التى ظلت معلقة منذ عام ١٩١٩ حتى تاريخ رفضها أول عمل تم بعد قيام رضا خان بانقلابه العسكرى الناجح فى ايران .

## الفصل الخامس

رضا شاہ بہاولی



فى يوم ٢١ من فبراير سنة ١٩٢١ ، وقبل خمسة أيام من توقيع معاهدة الصداقة الايرانية السوفيتية فى موسكو اطاحت قوات رضا خان بالحكومة الضعيفة فى طهران ، وقد ساعد رضا فى هذه المهمة الكاتب السياسى ضياء الدين طباطبائى . (١)

وقد ولد رضا خان فى ١٦ من مارس سنة ١٨٧٨ فى سوانكوه فى اقليم مازندران الواقع على بحر قزوين ، وكان والده وجده ضابطين فى الجيش الايرانى القديم ، والتحق فى شبابه بفرقة القوازق الايرانية واستطاع ان يصل الى رتبة القيادة بكفايته الخاصة . (٢)

وقد رأس الوزارة بعد احتلال طهران ضياء الدين طباطبائى فى حين عين رضا وزيرا للحربية ورئيسا لهيئة اركان حرب القوات الايرانية .

وقد حاول طباطبائى فرض اجراءات خاصة واصلاحت معينة ولكنه اصطدم برضا خان ، وهكذا اجبر ضياء الدين على الاستقالة وترك ايران وسمح له البريطانيون بالاقامة فى فلسطين . (٣) وظل رضا خان نفسه وزيرا للحربية فى عدة وزارات متتالية الى عام ١٩٢٣ ، ثم اصبح رئيسا للوزارة ، وبعد ذلك

---

(١) The Middle East In World Affairs George Leuczowski (١)  
P. 165. New York. (1957).

(٢) ايران ماضيها وحاضرها - دونالد ولبر صفحة ١١٧ .

(٣) Richard N. Frye P. 75.



بأشهر، قليلة ترك أحمد شاه آخر ملوك الاسرة القاجارية ايران على  
الا يعود اليها ابدا .

واخذ رضا خان يدنو سريعا من غاية آماله ، فقد اختارته جمعية  
تأسيسية خاصة في أكتوبر عام ١٩٢٥ كأول ملك للدولة البهلوية .  
 واجتمعت الجمعية الوطنية وأعلنت سقوط أحمد شاه والمناداة برضا  
خان ملكا على ايران . (١) واتخذ هو لنفسه لقب بهلوى ، وأقيم  
حفل التتويج في ٢٥ من أبريل عام ١٩٢٦ .

ووجد الشعب الايراني اخيرا الشخصية التي كان محتاجا  
اليها ، الشخصية التي كان عليها ان تعد النفوس للتغيير الجذري ،  
فقد فطن رضا شاه أكثر من غيره من مواطنيه الى الفرق الشاسع  
الاطراف بين ماضي ايران المجيد وحاضرها المنهار فصمم على أن  
يوقظها من سباتها ، ويغذى فيها الشعور بالاتحاد والعزة القومية ،  
وكان على ايران ان تطرح كل تدخل ونفوذ اجنبيين وأن تظهر  
باستقلال كامل وباحترام من الشعوب الاخرى ، كما كان عليها ان  
تحاول تحويل اقتصادها الى الوجهة الصناعية وأن تصلح نظمها  
الاجتماعية والاقتصادية .

وكانت القوات البريطانية والسوفييتية قد جلت عن ايران في  
نهاية سنة ١٩٢١ ، وأمضت الحكومة الجديدة السنوات الاولى في  
العمل على توحيد البلاد وحتى يتم لها هذا كان اول اعمالها ان تقوم  
بانشاء قوات من الجيش والشرطة تكون موالية للحكومة المركزية ،  
وبعد أن قضى على الثوار الاكراد واخضع زعماء خوزستان أصبحت  
ايران أكثر هدوءا ووحدة مما كانت عليه في عصر آخر منذ أيام  
الشاه عباس ، وقد شكلت قوات من الشرطة يرتدي افرادها ملابس  
زرقاء اللون ، كما أنشئت قوات للجيش ، وكانت مهمة هذه القوات

من الشرطة والجيش هي المحافظة على الأمن في الداخل ومنع التهريب والمساعدة في جمع الضرائب ... وكانت هذه القوات تابعة لوزارة الحربية . (١)

وكان رضا يؤمن بأن الجيش هو سنده الوحيد في صراعه مع القوى الأجنبية ، وأن تكوين جيش حديث مدرب على أحدث الأسلحة سوف يؤمن استقلال البلاد ، ومن ثم كون جيشا ضخما ومسلحا تسليحا حديثا (٢) وسرعان ما أخضع كل ركن من أركان إيران تحت سيطرة الحكومة المركزية العليا ، وضحي بالنظم الاجتماعية البالية في سبيل ادخال الاساليب التقدمية الحديثة ، ففقد الاشراف قوتهم واعتبارهم ، كما ألغى استعمال الالقاب ، كما رأى أن نفوذ رجال الدين وتدخلهم في كثير من الشؤون الدنيوية يؤثر على مركزه كحاكم مطلق ، فخطا خطوات كثيرة لتحطيم قوتهم ونفوذهم ، واستبدل القانون الديني بالقوانين المدنية والجنائية ، وصار الزى الديني لا يلبس الا بتصريح خاص ، وأنشئت المكاتب لتسجيل الزواج والطلاق المدنيين وتحسن مركز المرأة ، واستبدلت المدارس الدينية بالمدارس المدنية ولم يكن هدفه من هذا كله محاربة الدين نفسه ، بل كان القضاء على المظاهر الكاذبة التي لا تتناسب مع إيران بعد أن أعيد بعثها .

وقد استخدم المتخصصون والاجانب لتنفيذ برنامج التصنيع والاصلاح المالي والاداري ، غير أنهم كانوا — بعد عام ١٩٣٠ — لا يعطون مناصب ذات نفوذ ، فاكتمى باستعمالهم كفنيين ومهندسين ، لأن رضا شاه أظهر نفورا شديدا من الدول الأجنبية ، وقد تولد فيه هذا الشعور بسبب وطنيته المفرطة وبسبب نفوره من كل نقد يوجهه

---

(١) Iran, Richard N. Frye P. 75

(٢) The Middle East In World Affairs G. Lenczowski P. (٢)

اليه الاجانب ، وغذاه ايضا ضغط الازمة الاقتصادية العالمية الشاملة على ايران .

وقد واجهت ايران الازمة الاقتصادية ، وكذلك واجهتها مشكلة نقص العملات الاجنبية ، واضطرت حكومته الى السيطرة على الاقتصاد والتجارة واسست شركات احتكارية لتنفيذ مشروعات الاستيراد والتصدير ، كانت الحكومة تمتلك جميع اسهمها او اكثرها ، وكانت اثمان البضائع المستوردة تحدد بأسعار عالية ، فحققت الحكومة بذلك ارباحا طائلة . (١)

كما انشيء البنك الوطنى لايران عام ١٩٢٨ ، ووضع رضا شاه حدا للاقتراض من الدول الاجنبية ، فاخفى التدخل البريطانى فى شئون ايران الداخلية، وسلب رضا شاه من المصرف الامبراطورى الذى تملكه بريطانيا حق اصدار العملة ، كما حرم على الاجانب تملك الاراضى الزراعية ، واحكم الرقابة على التجارة الخارجية والجمارك ، وعمل على تحرير الاقتصاد القومى والمنشآت الاهلية من سيطرة الشركات الاجنبية ، وان لم يمنع استغلال الاموال الاجنبية فى بلاده .

وحافظ الشاه فى علاقاته بالدول الكبرى على ابعاد اى ظل لنفوذها فى بلاده ، وقد قضى رضا شاه على كل مظاهر التدخل السياسى الاجنبى فى ايران ، ولكنه من ناحية اخرى تحقق من ضرورة اقامة علاقات تجارية واقتصادية مع الدول الاجنبية فأبرمت خمسة موثيق بين روسيا وايران فى عام ١٩٢٧ ، كما أبرمت عدة موثيق اخرى فى عام ١٩٣٥ تتعلق بحقوق صيد السمك على الشاطئ الايرانى لبحر قزوين ، وباعادة بعض المنشآت على ميناء بهلوى على بحر قزوين .

(١) ايران ماضيها وحاضرها - دونالد ولبر صفحة ١٢٠.

ولم تنس بريطانيا نفوذها القديم في إيران ، وأهمية إيران الاستراتيجية والاقتصادية بالنسبة لمشروعاتها في المنطقة ، ولكنها وقفت ترقب الميدان من بعيد ، فلم يعد في استطاعتها ان تتدخل في الشؤون الإيرانية او كسب امتيازات جديدة من هذا الرجل القوى الذي تسنده قوى الشعب ، وكان الشاه بدوره كثير الحذر منها ، ومن الدول التي تقع في دائرة مصالحها .

وكانت سياسة رضا شاه الخارجية موجهة نحو صون حرية البلاد وسلامة حدودها ، ولكي يضمن هذا عمل على تحسين علاقاته مع جيرانه مما دفعه الى القيام بزيارة لأثقرة سنة ١٩٣٤ ، لكي يقوم بمشاورات مع مصطفى كمال أتاتورك ، وكانت هذه هي المرة الوحيدة التي يترك فيها الشاه وطنه .

كما حسم الشاه الخلافات القائمة بشأن الحدود مع العراق وأفغانستان بطريقة ودية ، وفي اليوم الثامن من يولييه سنة ١٩٣٧ وقع ميثاق عدم اعتداء بين إيران والعراق وتركيا وأفغانستان ، وقع هذا الميثاق في القصر الصيفي للشاه الذي يقع شمال طهران ، وعرف باسم ميثاق سعد آباد نسبة الى الحديقة والقصر اللذين وقع فيهما هذا الميثاق .

واهتم رضا شاه كذلك اهتماما كبيرا بشؤون المواصلات فعبد الطرق الداخلية ، لأن وسائل النقل تعد في غاية الأهمية في أرض جبلية مثل إيران وقد ايقن الشاه ان انشاء طرق صالحة يعتبر أمرا ضروريا لتوحيد البلاد ولنموها الاقتصادي .

ومن أضخم الاعمال في هذا المضمار هو انشاء خط حديدي عبر طهران ، ولقد خصصت الحصيلة الناتجة من احتكار الحكومة للشاي والسكر لتغطية تكاليف الخط الحديدي ، وحيث أن الشاي يعتبر الشراب الوطني ويستعمله الناس بكميات كبيرة ، لم يرحب



الناس بفرض الضرائب عليه ، ولكنها أسفرت عن جمع مبالغ كبيرة استخدمت في انشاء هذا الخط . وليس من شك في أن هذا الخط انحديدي يعتبر احد الاعمال الهندسية في العصور الحديثة ، لأنه يخترق أرضا من اوعر الاراضي الموجودة على الكرة الارضية ، وكانت تكاليف هذا الخط باهظة لأنه يوجد ما يقرب من ١٥٠ نفقا في الخط الجنوبي من طهران الى الخليج العربي ، كما يوجد عدد آخر من الانفاق يبلغ نصف هذا العدد في الخط الشمالي الممتد من طهران الى بندر شاه على بحر قزوين . وقد تم انشاؤه قبل الحرب العالمية الثانية بزمان يسير . . . ومن مهازل التاريخ أن الخط الذي رسمه المشاه بحيث يبعد عن شبكة السكك الحديدية الروسية في القوقاز وعن الخطوط البريطانية في العراق وبلوخستان قد استخدمه اعداؤه ضده خلال الحرب . وقد بدأ انشاء هذا الخط في عام ١٩٢٧ وانتهى انشاؤه في سنة ١٩٣٩ ، وتجدر الإشارة أيضا الى أن هذا الخط قد مولته الحكومة الايرانية وحدها من ضرائب الشاي والسكر فقط ، أما الناحية الفنية فقد تكفل بها عدد من المهندسين الاجانب من جنسيات مختلفة .

كما شجع المشاه اقامة الخطوط الجوية في بلاده ، فبين عامي ١٩٢٧ و ١٩٣٢ حصلت شركة جونكرز الالمانية للطيران على امتياز مرور اربعة خطوط جوية عبر ايران (١) . الاول يمر بطهران وكرمنشاه وقصر شيرين الى بغداد والقاهرة ، والثاني بين طهران واصفهان وشيراز وبوشير الى كراتشي وبومباي ، والثالث بين

---

(١) The Middle East In World Affairs G. Lenczowski P. 167.

طهران ومشهد الى وهران وكابل ، والرابع بين طهران ورشت الى  
بلكو ، واستمرت الشركة في عملها حتى عام ١٩٣٢ .

كما عقد رضا اتفاقا مع شركة الخطوط الجوية الامبراطورية  
البريطانية في سنة ١٩٢٨ بتسيير خطوطها الى الهند عبر سواحل  
الخليج العربي ، الا ان الشاه في تنفيذه لبرنامج التصنيع والاصلاح  
المالى والادارى ، كان لا مفر له من الاعتماد على الاجانب ، فهذه  
فكره الى الاستعانة بالدول التى لا يحذر خطرها — حين ذاك —  
كالولايات المتحدة والمانيا وبعض دول شمال اوربا ، فاستعان  
في اول حكمه بمستشار مالى امريكى هو الدكتور ا . س . ملسبو  
ومنحه سلطات واسعة لاصلاح مالية البلاد ، واقبل الرجل على  
عمله بهمة كبيرة ، فسوى في فرض الضرائب بين الاغنياء والفقراء ،  
ووازن ايرادات الحكومة ومصروفاتها ، واستغنى عن كثير من  
الموظفين الزائدين عن حاجة العمل ، وبدا التحسن واضحا في  
مالية البلاد ، ولكن صلابه الرجل في تطبيق آرائه وتنفيذ مشروعاته  
دون ان يربط بينها وبين السياسة العامة للدولة حمل الحكومة على  
الاستغناء عنه وعن معاونيه .

وكانت الضرائب تحت حكم الدولة القاجارية غالبا ما تقرر  
على اساس شخصي ولكن المستشار الامريكى الدكتور ملسبو اوصي  
بالمساواة في الضرائب ، الا ان هذا كان سببا في طرده ، وحل  
الامان محل البعثة الامريكية الاقتصادية برئاسة دكتور ملسبو .

ولم يكن حذر الشاه من بريطانيا بعيدا عن الصواب ، فسرعان  
ما دب الخلاف بين شركة البترول الانجليزية الايرانية والحكومة  
الايرانية حتى تدخلت الحكومة البريطانية في الامر دفعا عن الشركة،

وإذا كان بترول إيران هو أهم موارد بريطانيا البترولية ، فإنه من ناحية أخرى أهم مصادر الإنتاج في إيران وقوام صادراتها . ولكن تهرب الشركة من الوفاء بالتزاماتها والمغالطات الواضحة في حساباتها بقصد حرمان الحكومة الإيرانية من نصيبها في الأرباح والتأثير في مالية الدولة التي تدخل أرباحها في الشركة في ميزانيتها العامة ، وفداحة شروط الامتياز ، كل هذا حمل الحكومة الإيرانية على مطالبة الشركة بتعديل شروط الامتياز لمصلحة إيران ، وجاء هذا عندما هبط نصيب الحكومة من أرباح الشركة إلى النصف ، واتهام الحكومة الإيرانية للشركة بتقييد الإنتاج لمصلحتها مما يعود بالضرر على الدولة .

وسوف نشرح صورة الخلاف بين الشركة والحكومة بصورة أوضح في الباب السادس من هذا الكتاب ، وفي الجزء الخاص بقصة البترول في إيران ، ( مشكلة التأميم ) .

### إيران والحرب العالمية الثانية :

كان رضا شاه يشك في نوايا الروس والبريطانيين ، ولهذا كان من الطبيعي أن يتجه ناحية ألمانيا عند الاستعانة بالمستشارين الفنيين . وقد أبدت ألمانيا في عهد هتلر اهتماما جديا بإيران ، وهكذا أرسل الفنيون والأطباء والمستشارون بمختلف أنواعهم إلى إيران بشروط مرضية لها . ونمت التجارة بين البلدين نموا عظيما لدرجة أن ألمانيا كانت تحصل على ٤١٪ من تجارة إيران الخارجية عند قيام الحرب (١) .

وقد أعلنت إيران حيادها برغم أن كثيرا من الإيرانيين — بل

---

(١) Iran, Richard N. Frye P. 80.

الدوائر الحاكمة الايرانية نفسها — كانوا مشايعين للالمان دون ادنى شك . ولم يكن هناك مبرر لقيام نزاع مع الروس او البريطانيين حتى غزا النازيون الاتحاد السوفييتى فى يونية عام ١٩٤١ ، وأصبح من الواضح ان ايران أصبحت هى الطريق العملى الوحيد لشحن العتاد والاسلحة الى روسيا ، لأن الطريق البحرى الشمالى الى مرمونسك Murmansk . عرضة لهجمات العدو ، فى حين كانت فلاديفستك Vladvostok بعيدة جدا وعقب الهجوم الالمانى على الاتحاد السوفييتى بوقت قصير طلبت الدولتان الكبيرتان من الحكومة الايرانية ان تأذن لهما فى استخدام ايران كطريق للنقل . . . . الا ان رضا شاه رفض هذا الطلب ، ومن ثم تلقى انذارا فى أغسطس ، وحينما رفض مرة أخرى تحركت القوات السوفيتية الى ايران ولقى البريطانيون فى الجنوب بعض المقاومة ، ولكن الجيش الاحمر فى الشمال لم يلق أية مقاومة .

وقسمت كل من انجلترا والاتحاد السوفييتى ايران الى منطقتى نفوذ ، فسيطرت روسيا على الولايات الشمالية الخمس وهى اذربيجان وجيلان ومازندران وجورجان وخراسان ، أما بريطانيا فقد حققت سيطرتها على بقية الاراضى الايرانية (١) . وفكر رضا شاه فى خير وسيلة لانتقاذ بلاده . . . . فنزل عن العرش وأخذ تحت حراسة بريطانية فحمل أولا الى جزيرة موريتيوس ثم نقل الى جنوبى افريقية حيث توفى عام ١٩٤٤ .

وقد نشرت بعض الكتب والمقالات عن عصر رضا شاه منذ نزوله فى عام ١٩٤١ ، ومهما يكن من شيء فان من الواضح تماما انه أحد الشخصيات المهمة فى تاريخ ايران ، وانه قد استطاع بمفرده ان يضع ايران جنبا الى جنب مع دول العالم الحديثة المتحضرة .

---

(١) The Middle East In World Affairs. G. Lenczowski P. 176.



الا انه للحقيقة والتاريخ يجب ان نذكر ان الشاه الذى كرس نفسه لخدمة ايران وتقدمها ، لم ينس ان يجمع لنفسه ولعائلته ثروة طائلة، واستولى لنفسه على كثير من القرى بكاملها ، وامتلك مساحات شاسعة الأطراف من الاراضي الزراعية والغابات ... وهذا بلا ريب امر يؤسف له .

أما من الناحية الادارية فقد استعان بقوته الشخصية الصارمة، وببرلمان فقد روح الاستقلال ومقوماته الاساسية فكان ينفذ كل اقتراح تقدمه الحكومة . كما استعمل الشاه الجيش لخماد روح التحرر بين القبائل البدوية ، وتجنب الموظفون الحكوميون تحمل المسؤولية ، فكانت تقاريرهم عن الحالة الداخلية تصور حالة الرضا والشعور بالتفاؤل لارضائه ، كما تشير الى الصلات الطيبة بين ايران والدول الاجنبية ، فكان المخطئون يعاقبون عقابا قاسيا كما يعاقب أعداء الملك الشخصيين .

وانعدمت حرية الصحافة والكلام ، وانشأت الدولة ادارة خاصة لتوجيه الراى العام ؛ ولم تتح أية فرصة لظهار المصلحين والزعماء الوطنيين من بين افراد الجيل المتعلم الناهض ، وصفوة القول أنه وجدت حالة اضعاف للاساس الخلقى ، كما وجد جو شامل من الضعف والاذعان (١) .

ومهما قيل عن بعض مساوى رضا بهلوى كحكمه المطلق ، وتكوينه ثروة شخصية هائلة وتقييده للحريات العامة ، فان من الواضح تماما انه أحد الشخصيات الهامة فى تاريخ ايران الحديث .

وقد خلف محمد رضا ابيه على عرش ايران ... ولكن شتان

---

(١) ايران ماضيها وحاضرها - دونالد ولبر صفحة ١٢٠.

ما بين الاب والابن ، فان رضا شاه قد بعث ايران الحديثة ، وحررها من الاستعمار وخطط الاقتصاد الايراني على دعائم سليمة ، وضحي بعرشه أخيرا كوسيلة لانقاذ بلاده، اما محمد رضا فقد مكن للاستعمار من البلاد بل واستجاب لرغبات أسياده حينما أمره الا يدخل جثمان أبيه - الذي توفي في المنفى - الى ايران (١) بل وتمادى أكثر من ذلك فوضع الاحرار في السجون .. وسترى كيف انه سيصادق دولة الظلم ... دولة الاجانب في فلسطين ، متناسيا العلاقات الوثيقة بين العرب والايرانيين منذ قديم الازل .

---

(١) دفن رضا شاه بهلوى في مصر في عام ١٩٤٤ في مدافن الرفاعى بالقاهرة، وبعد بضع سنوات نقل جثمان البطل الراحل الى ايران حيث دفن هناك  
( المؤلف )



## الفصل السادس

### إيران وعقبة التاريخ

الكتاب الأول في تاريخ إيران





فى هذا الباب سنعرض الاحداث الهامة التى  
مرت بايران والتى انتهت بها الى ما هى عليه الآن .  
فقد احدث الاحتلال الروسى البريطانى لايران فى عام  
١٩٤١ تغييرا مفاجئا فى تاريخها ، فقد كان نهاية عهد  
اصلاحات عاجلة فى عهد حاكم قوى متحفز .

وحاولت بريطانيا وروسيا اعطاء احتلالها للبلاد صفة  
رسمية فأبرمت اتفاقية بين ايران وبريطانيا وروسيا  
السوفيتية فى ٢٩ من يناير عام ١٩٤٢ وتعهدت  
بريطانيا وروسيا فى اول مادة من هذه المعاهدة باحترام  
سيادة ايران واستقلالها السياسى والمحافظة على  
حدودها ، كما وافقت الحليفتان على بذل المحاولات  
اللازمة لتأمين الكيان الاقتصادى للشعب الايرانى  
لحفظه من الفاقة والصعوبات التى تكونت نتيجة  
للحرب . كما نصت المواد الاخرى على التسهيلات  
التى يجب منحها للحليفتين فى أثناء حربيهما ضد المانيا ،  
واكدت هذه المعاهدة ان وجود القوات المتحالفة فى  
الاراضى الايرانية لا يعنى احتلالا عسكريا للبلاد ، وان  
هذه القوات يجب ان تنسحب من الاراضى الايرانية خلال  
مدة لا تزيد على ستة اشهر بعد انتهاء الحرب بين قوات  
الحلفاء وبين المانيا وحليفتها .

وفى اوائل عام ١٩٤٢ ، بدأت الامدادات المقررة  
لروسيا تصل الى رأس الخليج العربى ، وتدخل بوساطة  
الخطوط الحديدية الايرانية وطرق السكك الحديدية المؤدية  
الى الشمال ، كما وصلت أولى القوات الامريكية الى

ايران فى ديسمبر سنة ١٩٤٢ وبلغ عددها فى النهاية ٣٠٠٠٠ رجل . وقد استغل الامريكيون الخط الحديدى الممتد من الخليج العربى الى طهران وكذلك قوافل السيارات التى تسير من الخليج الى شمالي ايران حيث كانت الامدادات تسلم للروس ، فحمل خط النقل بالسسيارات ٤٠٠٠٠ طن من مواد الحرب فى حين نقل الخط الحديدى ٤٠٠٠٠٠ طن من الامدادات ، سلمت جميعها لروسيا السوفيتية وايران ، وقد استطاع الحلفاء بفضل تعاونهم وكفايتهم أن ينقلوا خمسة ملايين طن من مواد الحرب عبر ايران ويسلموها للجيش الروسى . « ولم يكد يحل ربيع سنة ١٩٤٢ حتى كانت العلاقات الدبلوماسية قد قطعت مع المانيا وايطاليا واليابان ، واخرجت جالياتها من ايران ، وفى ٩ من سبتمبر سنة ١٩٤٣ أعلنت ايران الحرب على المانيا كما أعلنت تمسكها بميثاق هيئة الامم المتحدة .

وفى آخر نوفمبر سنة ١٩٤٣ ، جاء روزفلت وتشرشل وستالين الى ايران لحضور مؤتمر طهران ، وكان ميثاق طهران ذا أهمية حيوية بالنسبة للايرانيين ، فقد اعترف الزعماء المتحالفون فيه بالمساعدة التى قدمتها ايران فى الحرب ، ووافقوا على مواصلة تقديم المساعدة الاقتصادية لايران ، وقرروا أن المشاكل الاقتصادية التى سوف تواجه ايران بعد الحرب ينبغى أن تعطى عناية فى المؤتمرات الدولية أو ممثلى الدول ، كما عبروا عن رغبتهم فى رعاية استقلال ايران وسيادتها وسلامة حدودها (١) .

وقد عانت ايران ابان الاحتلال من التضخم المالى وانهيار النقل وشيوع الفوضى فى البلاد . وكانت المقادير الكبيرة من العملة الصادرة لمواجهة نفقات القوات المتحالفة داخل البلاد تعمل عملها فى ارتفاع الاسعار وازدياد التضخم المالى ، وكانت الوزارات

(١) ايران ماضيها وحاضرها - دونالد ولبر صفحة ١٢٢ - ١٢٣

المتتالية قصيرة الاجل . . تهتم بالضروريات اليومية فلا تستطيع ان تقدر المشاكل الجوهرية الناشئة عن التغيير السريع من حكم رضا شاه المطلق الى محاولة للحكم الديمقراطي .

وتم اطلاق سراح المسجونين السياسيين الذين بدعوا في الحال تنظيم جماعات سياسية عدة ، ولم تكن الحكومة الايرانية قادرة على مواجهة هذه التيارات السياسية المختلفة ، حيث أن القوات السوفييتية كانت لا تسمح لوظفي الحكومة الايرانية بالدخول الى الجزء الشمالي من بلادهم .

وكانت الاحزاب السياسية الجديدة ذات اسماء رنانة ، وكان حزب تودة ( الكتلة الشعبية ) المتطرف في اقليم ازربيجان ، قد ابدل اسمه باسم الحزب الديمقراطي الازربيجاني ، وكانت جماعة هذا الحزب — الذي تحتل القوات السوفييتية ميدان نشاطه — تتهم الحكومة المركزية بشدة ، وتهاجم حاميات الجيش الايراني ومراكز الشرطة في كل مكان في الاقليم ، مما جعل المنطقة في فوضى شاملة .

أما الولايات المتحدة، فلم تعرف — حين ذاك — الكثير عن شئون ايران ، كما انها لم تبد اهتماما كبيرا بتطور هذه الشئون في اثناء الحرب . وقد يكون وجود بعض القوات الامريكية التي ظلت في ايران من سنة ١٩٤٢ الى سنة ١٩٤٥ لمساعدة البريطانيين في ارسال المؤن الى روسيا قد اثارت بعض الاهتمام والنشاط من جانب الولايات المتحدة، كما ان البعثة الاقتصادية التي كان يرأسها ملسبو قد نالت من الاعتراف الامريكي أكثر مما نالته أية جماعة أخرى .

وبالرغم من هذا ، فإنه لم يكن هناك اهتمام كبير من جانب الامريكيين بشئون ايران السياسية والاتجاه الذي يمكن أن تتطور فيه هذه الشئون .



وقد اتجهت ايران الى الولايات المتحدة فى طلب المساعدات ،  
فقدمت الاخيرة القروض الى ايران ، وأرسلت اليها بعثة حربية  
لتدريب الجيش الايراني ، كما أرسل ضابط امريكى لاعادة تنظيم  
جهاز الشرطة . وكان من الطبيعى أن يضايق هذا الاجراء الدولتين  
صاحبتى المصلحة فى هذه المنطقة فى العالم ، فبريطانيا والاتحاد  
السوفييتى كانا ينظران الى ظهور الولايات المتحدة كقوة جديدة على  
مسرح الحوادث فى ايران ، وربما تسبب هذه القوة المتاعب بالنسبة  
لخطتهما المقبلة .

وبينما كانت أمواج الحرب تنحسر ، ويختفى شبح تقدم المحور  
من القوقاز ، انحسرت كذلك موجة الخوف من ظهور حركة الطابور  
الخامس فى ايران ، ففسد قبض على عملاء الالمان الذين هبطوا  
بالمظلات فى البلاد ابان ربيع سنة ١٩٤٣ ، كما القى القبض على  
الايرانيين المشايخين للمحور بعد ذلك بعدة شهور ، أى قبل أن تعلن  
ايران الحرب على المانيا فى ٩ من سبتمبر سنة ١٩٤٣ . والى هذا  
الحد كان الروس مشغولين بانقاذ انفسهم ، أما الآن فقد وجهوا  
اهتمامهم الى الشئون السياسية الايرانية بغرض تحقيق اهدافهم .  
وقد حصل حزب توده فى انتخابات المجلس الجديد التى تمت  
فى عام ١٩٤٤ على ثمانية مقاعد من مجموع المقاعد البالغ عددها  
١٣٠ مقعدا وكان الشيوعيون يمثلون الحزب المنظم الوحيد ، أما  
الجماعات السياسية الأخرى فلم يكن لها برامج محددة او تنظيمات  
خاصة . وقد استفاد الشيوعيون من هذه الحالة من الفوضى  
السياسية فى ايران حيث كانت لهم اهداف معينة ، واتباع منظمون  
فى حين كانت بقية الجماعات متعارضة فيما بينها .

وقد حدثت نقطة التحول فى العلاقات السوفيتية الايرانية فى  
سبتمبر سنة ١٩٤٤ حينما وصل كافتارادزى karteradze

أحد نواب الإدارات الحكومية السوفيتية مندوبا من قبل وزارة الخارجية في موسكو للتفاوض في شأن عقد اتفاق بشأن استغلال زيت البترول في شمالي إيران ، وكانت شركات البترول الأمريكية والبريطانية قد أبدت اهتماما كبيرا بالحصول على امتيازات خارج نطاق شركة البترول الانجليزية الإيرانية. وبعد أن انتشرت اشاعات كثيرة في الاسواق أعلنت الحكومة الإيرانية في ١٦ من أكتوبر أنها لن تمنح أية امتيازات. وقد أثار هذا الاعلان عاصفة من الاحتجاجات واللوم من جانب صحف حزب تودة ضد الحكومة ، وعقد الشيوعيون اجتماعات شعبية لحث الحكومة على منح امتياز لحكومة الاتحاد السوفيتي ، وبالرغم من الضغط من جانب السوفيت وأعضاء حزب تودة ، فقد أصدر المجلس قانونا بناء على اقتراح الدكتور مصدق ينص على ألا تدخل أية وزارة في مفاوضات أو تمنح أية امتيازات بشأن البترول للأجانب دون موافقة المجلس . وكان من نتيجة ذلك أن غادر كافتار أدزي إيران قائلا : ان هذا القانون يعد خطأ كبيرا وان العلاقات الإيرانية السوفيتية سوف تتأثر نتيجة لهذا القانون . وقد اتبع السوفيت واتباعهم بعد هذه الصدمة بشأن امتيازات البترول سياسة أكثر عداء تجاه الغرب لانهم اتهموا الأمريكيين والبريطانيين بالوقوف في صف الحكومة الإيرانية .

وفي يناير سنة ١٩٤٥ لم يعد لإيران تلك الأهمية التي كانت لها في أثناء الحرب فيما يختص بنقل المؤن الحربية ، ولذلك طالب الإيرانيون بجلاء القوات الأجنبية عن أراضيهم . وأعلن الروس ان لهم حقا من الوجهة القانونية في ابقاء القوات مدة ستة شهور عقب انتهاء الحرب مع المحور الذي يشمل اليابان . وانسحبت القوات الأمريكية قبيل انتهاء العام ، في حين أخذ الروس والبريطانيون في سحب قواتهم في كثير من التردد والتباطؤ . وعلى كل ففي الوقت الذي سلم فيه اليابانيون ظهرت مشكلة جديدة احتلت العناوين

الرئيسية في صحف العالم (١) وهي مشكلة إقامة جمهورية أذربيجان ، وتفصيل الأمر انه في أغسطس سنة ١٩٤٥ احتل حزب تودة عدة مبان حكومية في تبريز وأصدر منشورات يطالب فيها بالحكم الذاتي في أذربيجان وباستعمال اللغة الأذربيجانية التركية كلغة رسمية ، وإصلاح الاقتصاد الإقليمي ، ومنعت قوات الجيش الأحمر السوفيتي القوات الإيرانية من الزحف إلى تبريز لإخماد الثورة . وكان في استطاعة الثوار ان يستولوا على مقاليد الأمور في ذلك الوقت ، ولكن الواضح ان الاتحاد السوفييتي لم يشأ ان يتدخل حينئذ . ثم أعيد تنظيم حزب تودة ، وسمى باسم الحزب الديمقراطي ، وبدأ يطالب من جديد بالحكم الذاتي ، وكان كل هذا يحدث تحت حماية القوات السوفيتية التي استمرت ترفض السماح بوجود قوات الحكومة المركزية في الإقليم . وفي نوفمبر تولى الديمقراطيون زمام الأمور وأعلن المجلس الجديد في ١٢ من ديسمبر مولد جمهورية أذربيجان المستقلة استقلالاً ذاتياً وأصبح جعفر بشاوري وهو أحد الشيوعيين الذين قضوا عدة سنوات في الاتحاد السوفييتي رئيساً للوزراء ، وتكون على الأثر جيش الشعب الذي نظمته الروس .

وقد اشتكت إيران إلى الأمم المتحدة ضد تدخل روسيا السوفيتية في شئونها الداخلية ، وأضافت الدول الغربية إلى موضوع أزمة أذربيجان تردد الجيش الأحمر في الجلاء عن إيران ، ولم يصل مؤتمر وزراء الخارجية للدول الثلاث الكبرى الذي انعقد في موسكو سنة ١٩٤٥ إلى نتائج خاصة بالجلاء عن إيران وبشأن تكوين لجنة تصفية في مسألة أذربيجان ، وقرر مجلس الأمن بعد مناقشات حامية ان يحيل الأمر إلى إيران والاتحاد السوفييتي لإجراء مفاوضات مباشرة بينهما . وذهب رئيس وزراء جديد هو أحمد



قوام السلطنة الى موسكو في فبراير سنة ١٩٤٦ لعقد اتفاق مع روسيا ، ولكن حتى الثاني من مارس لم تجل القوات السوفيتية عن الاراضي الايرانية ، فاحتج رئيس الوزراء وعاد ادراجه الى ايران .

ولما كان الاتحاد السوفيتي قد نقض شروط معاهدة سنة ١٩٤٢ الخاصة بجلاء قواته عن ايران خلال ستة اشهر من انتهاء الحرب مع المحور ، اصبح الروس عرضة للهجوم في الامم المتحدة وامام الراى العالمى . ولكى يحصل « قوام » على انسحاب الجيش الاحمر ، منح الروس ثلاثة امتيازات ، فقد وافق على تكوين شركة سوفيتية ايرانية لاستغلال منابع البترول في شمالي ايران يمتلك السوفييت ٥١ ٪ من اسهمها ، ثم اصدر تعليمات الى مندوب ايران في الامم المتحدة لى يسحب شكوى ايران ضد الاتحاد السوفيتي وكان أن رفض المندوب أن ينفذ هذه التعليمات وأخيرا أعطى حزب تودة ثلاثة مقاعد في وزارته .

وقد وعد «قوام» كذلك بالدخول في مفاوضات مع الديمقراطيين في آذربيجان لى يضمن حقوقهم ويعترف بهم بصفتهم حكومة شرعية محلية . . . . وكان من نتيجة هذا ان تم اخيرا ، اجلاء الجيش الاحمر عن ايران في مايو سنة ١٩٤٦ وكان يبدو حينئذ ان الاتحاد السوفيتي سبطل سيد الموقف .

وكان من المقرر ان يتم انتخاب مجلس جديد للتصديق على الاتفاقات التى أبرمها « قوام » مع السوفييت ، وكان يبدو أن مصير ايران هو الوقوع في احضان روسيا وبخاصة لوجود أعضاء من حزب تودة في وزارة قوام ، ونظم حزب تودة المظاهرات في مناطق البترول وفي عبادان ، وقد تسببت هذه المظاهرات في ازدياد عدد القوات البريطانية في البصرة ، ولكن ثورة القبائل في الجنوب والتي كانت تتزعمها قبائل الكاشكاي هي التي رجحت كفة الغرب ،



وطالب زعماء القبائل رئيس الوزراء بطرد الشيوعيين من الوزارة فأذعن قوام لهذا الطلب في ٢٧ من أكتوبر .

ثم جاءت بعد ذلك مسألة الانتخابات ، واصر قوام على ان يكون للحكومة المركزية الحق في الاشراف على الانتخابات حتى في آذربيجان . . واصبح الروس في حيرة من أمرهم : هل يؤيدون الديمقراطية في آذربيجان ؟ أو يؤيدون أحمد قوام الذي وعدهم بامتيازات البترول ؟ أما قوام فانه من ناحيته أمر القوات المركزية بالزحف على آذربيجان ، وانهارت حكومة الثورة حينما سقطت تبريز في ١٥ من ديسمبر سنة ١٩٤٦ ، ثم القى القبض على أعضاء حزب تودة في جميع انحاء ايران .

وكان الاتحاد السوفيتي لا يزال يطمع في استبقاء نفوذه عن طريق التصديق على اتفاق البترول ، ولكن البرلمان الجديد (الخامس عشر) الذي افتتح في منتصف أغسطس لم يكن في عجلة من أمره ، وشد السفير الأمريكي الجديد « جورج ألن » من عزم المقاومة الايرانية في قبول الاتفاق باعلانه عن تأييد أمريكا لحرية ايران في قبول أو رفض الاتفاق على حسب فوائده وقيمه بالنسبة لايران .

وفي ٢٢ من أكتوبر سنة ١٩٤٧ رفض المجلس اتفاق البترول الذي ابرمه قوام ، وفقد الاتحاد السوفيتي ايران التي اصبحت في الحال هدفا للمؤامرات الشيوعية ومسرعا للانقسام بين دعاة الغرب ودعاة الشرق .

### قصة البترول في ايران ( مشكلة التأميم ) :

تتكون كلمة بترول ( Petroleum ) في الاصل من كلمتين يونانيتين هما Petro أي الصخر ، Cleum ومعناها الزيت

ويذهب الخبراء الى أن أصل البترول اتحاد عنصرين وهما الايدروجين والكربون ، وتتفاوت الحالة التي يوجد عليها ، فيكون إما صلباً أو سائلاً أو على هيئة الغاز .

وكانت نقطة التحول التي جعلت البترول سيد الصناعات بلا منازع هو انتشار الآلة القائمة على الشرارة الكهربائية وتوليد الحرارة والحركة بوساطة الاحتراق الداخلي منذ عام ١٩١٠ واستخدامها على نطاق واسع في الصناعات والمواصلات .

وفي إيران ، كانت ينابيع البترول تنساب خلال الصخور منذ ظهور الإنسان الأول على سطح الهضبة الإيرانية ، ومن المحتمل أن البترول أو الغاز المنساب من القيعان المحملة بالزيت قد اشتملت بفعل البرق ، واصبحت هدفاً للعجائب والعبادة ، وبعد ذلك بكثير ، حينما أصبح كتاب زرادشت المقدس الديانة الرسمية للاكمنيين ، أنشئت كثير من البيوت التي تشتمل على شعلة دائمة فوق منابع الزيت أو بالقرب منها ، ولا تزال اطلال واحد من هذه الآثار — وهو مسجد سليمان — ترى في وسط الحقول المنتجة للبترول .

وكما رأينا ، تعاقب على عرش الاكاسرة اباطرة بين النابه والخامل ، ومن لا يهتم بمصالح الشعب أو يعيرها أية عناية ، فهو نجم إيران وضعف شأنها في الميدان الدولي ، وانطوى الشعب على نفسه لا يدري من أمر العالم الخارجي الكثير أو القليل .

وفي أواخر القرن التاسع عشر تراسى الى سميع مغامر استرالى يدعى وليام دارسي ( William Darsey ) عن امكان استخراج البترول في إيران ، فوصل اليها في سنة ١٩٠١ وقد استهواه ما قد تحتويه تربة إيران من البترول .

ونقب دارسي بهمة عن البترول ، وصادف العقبات والاعتداءات في قفار إيران وفيافيها ، وبني سكة حديد ضيقة ، وحصل في عام

١٩٠١ على حق التنقيب واستثمار البترول في جوف أرض الاكاسرة برمتها نظير دفع ضريبة سنوية قدرها ٢٠٠٠٠٠ فرنك من الذهب وكذلك ١٦ ٪ من ربح البترول لمدة ستين سنة ، ولم يكن صاحب الامتياز وطييد الامل في العثور على ضالته الى ان دله بعض السائحون على وجود البترول بجوار الخليج العربي ، فشرع ينقب في المنطقة ، وانبثق النفط منها بقوة .

غير ان هذا المغامر الاسترالي لم ينعم بما عثر عليه ، اذ كانت المخابرات الانجليزية تعمل من ناحيتها كي تستحوذ بريطانيا وحدها ببترول ايران لتنفيذ أغراضها الاستعمارية والعسكرية لمصلحة الاسطول البريطاني اقوى أساطيل العالم حين ذاك . وهكذا تأسست الشركة الانجليزية الفارسية للبترول برأسمال قدره ٢٠٠٠٠٠٠ جنيه استرليني وضمت اليها شركة بورما للبترول ، كما استحوذت على مجهودات دارسي المغامر الاسترالي . . . وهكذا لعبت بريطانيا اولى ادوارها المرسومة في ايران ، واصبح بترول ايران بين يدي الامبراطورية البريطانية وطوع اطماعها الاستعمارية .

وزاد رأسمال الشركة الى ٤٧٩٩٠٠٠ جنيه سنة ١٩١٤ ثم الى ١٣٥٢٤٠٠٠ جنيه سنة ١٩٣٥ ، وبدأت الشركة تمتد بنفوذها وقوة مالهها وتنشئ المستودعات والمخازن ومعامل التكرير ، واصبحت من اهم احتكارات البترول في العالم ، مما اثار حفيظة الاتحاد السوفيتي الذي ما فتئ يجدد محاولاته لاستعادة نفوذه كعهد القيصريّة في ايران ، ويدافع عن طريق الوصول الى بتروله في باكو وباطوم ، مما اثار ايضا اهتمام الولايات المتحدة الأمريكية التي وجدت الصفقة رابحة ، وان ايران لم تعد في نظر رجل الاعمال الأمريكي مجرد بلاد سياحية سباحرة بتاريخها وشعرها وطبيعتها .



وفي أواخر سنة ١٩٢٨ ، دارت المفاوضات بين حكومة ايران  
والشركة البريطانية للوصول الى اتفاق ، ولكن تحطمت المفاوضات  
لان الشركة أثبتت ان تجيب الحكومة الى غرضها من حيث تعديل  
شروط الامتياز بما يتفق مع وجهة النظر الايرانية .

وفي أواخر عام ١٩٣١ استؤنفت المباحثات على نطاق أضيق  
اذ كان الغرض من التفاهم على الطريقة التي يتم بها حساب ارباح  
الشركة ونصيب الحكومة منها ، وانتهت المفاوضات بالوصول الى  
اتفاق قبله الطرفان في ٢٩ من مايو سنة ١٩٣٢ .

ولكن فجأة تحطمت الآمال . . . . . اذ انه في يوم ٣ من يونية  
سنة ١٩٣٢ قدرت حصة الحكومة الايرانية ، فاذا بها مبلغ ٣.٦٨٧٢  
جنيها . فكان ذلك التقدير صدمة أذهلت الحكومة حين شابهت  
تصويبها يهبط الى هذا الحد التافه اذا قيس بما كان عليه قبلا اذ  
كان . . . ١٤٣٧.٠٠٠ جنيه في سنة ١٩٣٩ ، ١٢٨٧٣١٢ جنيه في سنة  
١٩٣٠ .

وقد أصبح الموقف اذن في غاية الحرج ، ولا بد من ايجاد  
مخرج منه فطلبت الحكومة من الشركة ايضا ان تعيد مراجعة الامر ،  
ويبدو ان صبرها قد نفذ ، فبفعلت في ٢٢ من نوفمبر سنة ١٩٣٢  
إنذارا الى الشركة تعلن فيه الغاء الامتياز اعتبارا من ذلك التاريخ .

وجاء في بيان الحكومة عن هذا الموضوع ، ان الهدف من هذا  
القرار هو حماية المصالح الايرانية ، واضاف البيان ، انه اذا كانت  
شركة الزيت الانجليزية الايرانية على استعداد لان تصون المصالح  
الايرانية بالطريقة التي تتفق مع وجهة نظر الحكومة الايرانية على  
اساس من النزاهة والعدالة ومع تقديم الضمانات اللازمة التي  
تكفل صيانة تلك المصالح ، فان الحكومة من ناحية المبدأ لا تجد  
لديها ما يحول دون منح الشركة المذكورة امتيازاً جديداً . واحسنت



ايران اختيار الوقت المناسب لهذا القرار الجرىء سنة ١٩٣٢ تمثل  
أشد فترات الازمة الاقتصادية العالمية سوءا ، وما ترتب على ذلك  
من اضطراب احوال العالم الرأسمالى فالموقف فى اوربا مضطرب  
فالنازية قد عظم شأنها وأصبح وصولها الى مقاليد السلطة مسألة  
وقت . وفى ٢ من فبراير سنة ١٩٣٢ اجتمع المؤتمر الدولى للنظر  
فى مشكلة التسليح والبحث فى الوسائل المؤدية الى خفضه ،  
ولكن ما لبث أن بدأ التباين بين وجهات نظر الدول المشتركة فيه ،  
ووضحت روح الشك المتبادل ، وصار فشل المؤتمر أمرا محققا ولا  
مناص منه . . . هذه الظروف الدولية التى أجملناها كانت عاملا  
شجع ايران على موقف التصلب ازاء الشركة ثم ما كان منها من  
محاولة الغاء الامتياز أخيرا .

وقد ردت الشركة على الحكومة منكرة قانونية تصرفها  
ومشروعيتها ، فكان الجواب ان القرار نهائى لا نكوص عنه ، وهنا  
أصبح لا مفر من انتقال الامر الى الميدان السياسى ، فأرسلت الحكومة  
البريطانية فى ٢ من ديسمبر سنة ١٩٣٢ مذكرة شديدة اللهجة أعلنت  
فيها أنها تعد الغاء الامتياز خرقا للتعهدات الدولية ، ثم طالبت  
ايران بسحب الانذار فى الحال ، والا أصبحت فى حل من اتخاذ  
جميع الاجراءات المشروعة لحماية مصالح الشركة .

ورفضت الحكومة الايرانية المذكورة وردت ردا مفحما هددت  
بعده الحكومة البريطانية بمذكرة أخرى فى ٨ من ديسمبر ، وأعلنت  
فيها انه اذا ظلت الحكومة الايرانية ترفض سحب قرارها بالغاء  
الامتياز فى خلال أسبوع واحد من تاريخ وصول هذه المذكرة ، فلن  
يكون هناك امام الحكومة البريطانية سوى ان ترفع الأمر الى محكمة  
العدل الدولية الدائمة للنظر فى قانونية هذا العمل ، كما أرسلت  
الحكومة البريطانية أسطولا حريبا الى بندر عباس ليقوم بمظاهرة  
لارهاب الشاه دون جدوى . ومن ناحية أخرى اجابت حكومة الشاه

على مذكرة الحكومة البريطانية منكرة اختصاص محكمة العدل الدولية في النظر في هذا الامر ، واتهمت الحكومة البريطانية بأنها تعتمد الى التهديد ، ثم صرحت بعزمها على احالة الخلاف الى مجلس عصبة الامم ، وكانت ايران قد اصبحت عضوا من اعضائها منذ عام ١٩٣٠ وجاء قرار العصبة موافقا للطرفين فقبلاه في ٣٠ من مارس سنة ١٩٣٣ وأقره المجلس الايراني ، وصادق عليه الشاه في شهر مايو من العام نفسه . (١)

وقد خفض الاتفاق الجديد مساحة الامتياز الى النصف ، فأصبح من حق الحكومة الايرانية ان تتصرف في بقية المساحة كما تريد ، والى حق الشركة في احتكار مد انابيب البترول الى الساحل الجنوبي ، كما نص على أن تعمل الشركة من جانبها على توسيع نطاق أعمالها في منطقة امتيازها الجديد وان تبدأ عمليات استخراج البترول وتكريره في كرمينشاه بالإضافة الى أعمالها في خوزستان ، وفرض الاتفاق للحكومة الايرانية ضريبة مقدارها أربعة شلنات عن كل طن تبيعه الشركة سواء للاستهلاك المحلي أو الخارجي ، على الا تنقص حصة الحكومة منها عن ٧٥٠٠٠٠ جنيه في السنة خلاف النسبة المئوية التي تحصلها عن ارباح الشركة ومقدارها ٢٠٪ ، كما حدد الاتفاق أجل امتياز الشركة بستين عاما قادمة تثول بعدها جميع ممتلكاتها الى الحكومة الايرانية .

كما تناول الاتفاق شروط استخدام العمال الفنيين وغير الفنيين ، وسعر الاستهلاك المحلي للبترول ، ومدفوعات السفنتين السابقتين ، وكانت كلها لمصلحة ايران ، الا أن الشركة كسبت

---

(١) يقول ريتشارد فراي في كتابه ايران صفحة ٧٦ ، ان العصبة لم تصدر قرارا في النزاع القائم بين حكومة ايران والشركة البريطانية ، بل توصل الطرفان الى اتفاق جديد قبل اصدار قرار العصبة ، وذلك لحاجة الشاه الى المال، ولرغبة الطرفين في الوصول الى تسوية سريعة .

مقابل هذا كله اعفاء وارداتها من الرسوم الجمركية ، وصادراتها البترولية من الضرائب وحققها في الاحتفاظ بما تحت يدها من عملات أجنبية ، وبهذا الاتفاق ، انتهى النزاع بين حكومة ايران وشركة البترول الانجليزية الايرانية ، وسارت الشركة في طريق التقدم المطرد واتسع نطاق أعمالها ونجاحه خلال سنوات الحرب العالمية الثانية .

وفي مجال الصراع الدولي على بترول ايران ، لم يفت الولايات المتحدة الأمريكية أن تستغل الموقف ، وقامت بمفاوضات في طهران ، أدت الى منح بعض المؤسسات الأمريكية في عام ١٩٣٧ امتياز التنقيب عن البترول واستغلاله في ثلث مساحة الدولة لمدة ستين سنة .

ونجحت السياسة الأمريكية والانجليزية عقب الحرب العالمية الثانية في تطويق الاتحاد السوفيتي برغم اختلافهما على احتكار البترول في ايران ، وتم هذا التطويق بنفوذهما في ايران وتركيا واليونان والعراق وقبرص وبالإشراف على شرايين البترول في قناة السويس وأنابيبه التي تصل الى شاطئ البحر المتوسط ، وشجعت انجلترا والولايات المتحدة قيام صنيعتها إسرائيل للغرض نفسه . . . الا ان استقلال مصر وتأميم قناة السويس واستقلال قبرص وقيام ثورة العراق أدت الى أحداث تغييرات كبيرة في استراتيجية المنطقة .

ولكن ما هي الفترة التاريخية لقصة البترول في ايران ؟

ان أهم فترة في قصة البترول حدثت ، عندما تقدم الصفوف في ايران أحد القادة الوطنيين المخلصين وهو الدكتور محمد مصدق ، وقد ظن خيرا في نوايا الولايات المتحدة الأمريكية ، ورأى في الوقت نفسه ان الشركة الانجليزية في بلاده تستغل تربتها الى



أقصى حد على حساب الشعب الإيراني ، وقد رأى مصدق وجوب سد عجز ميزانية الدولة من ثروتها القومية الأساسية وهي البترول . . . . . وخرج من ذلك بوجوب تأميم الذهب الأسود لمصلحة الشعب ، ووافق البرلمان على التأميم ، ورفع القرار إلى الشاه . وأبدت حكومة الولايات المتحدة قلقها بشأن أزمة البترول ، وبعث الرئيس ترومان سنة ١٩٥١ برسائل إلى الحكومتين البريطانية والإيرانية يحثهما على حسم النزاع بما فيه مصلحة الطرفين . ووصل عدة مديرين لشركة البترول الانجليزية الإيرانية إلى طهران في ١٢ من يونيو لإجراء محادثات مع المسؤولين الإيرانيين ، ولكن هؤلاء كانوا يريدون اعترافا عاجلا بالتأميم ، وهو أمر لم يكن البريطانيون على استعداد للاعتراف به في ذلك الوقت . وعاد وفد البترول البريطاني إلى لندن في ٢٢ من يونيو في حين طلبت الحكومة البريطانية من محكمة العدل الدولية بلاهاى إصدار قرار بمنع إيران من الاستيلاء على ممتلكات شركة البترول . وحينما أصدرت المحكمة الدولية توصيتها بأن تسترد الشركة ممتلكاتها في حين تظل الإيرادات مجمدة في البنوك ، بعثت الحكومة الإيرانية إلى الأمم المتحدة تعلن انسحابها من محكمة العدل الدولية .

وفي ٢٧ من سبتمبر استولت القوات الإيرانية على معمل التكرير في عبادان وفي ٣ من أكتوبر رحل آخر الفنيين البريطانيين تاركين الأمر كله للإيرانيين . . . . . وأغلقت الشركة أبوابها وقطعت حكومة طهران العلاقات الدبلوماسية مع حكومة لندن .

وفي ٢٢ من يوليو أفتت محكمة العدل بعدم اختصاصها في النزاع القائم حول البترول وألغت حكمها السابق باسترداد شركة البترول الانجليزية الإيرانية لممتلكاتها . وهكذا أحرز مصدق نصرا آخر قوى مركزه في الداخل . . . . . ولكن ما الذي حدث لأبار البترول والمنشآت الضخمة هناك ؟



لقد استطاع المهندسون الإيرانيون على عكس ما تكهنت به شركة البترول الانجليزية الإيرانية ان يديروا العمليات الفنية المختلفة وامتلات المستودعات بالبترول .

وهنا نشبت معركة سياسية حامية بين ايران والولايات المتحدة من وراء الستار ، وانجلترا التى ثارت ثائرتها بسبب التأميم ، وبلغ التوتر أشده بين لندن وواشنطن فيما بين سنتي ١٩٥٠ - ١٩٥١ ، فكل بلد للانجليز نفوذ فيه ، تحاول الولايات المتحدة على حسب اتهام الدبلوماسية البريطانية لهذه انتزاع النفوذ منها .

الا ان الولايات المتحدة لم تساعد حكومة ايران فى تسويق البترول المخزون أو تقديم المعونة لها لتحقيق التأميم عمليا وسد العجز فى ميزانية الدولة ، وقوطع البترول الايرانى بضغط السياسة الانجليزية فى أسواق العالم .

وفى هذه الاثناء أصبح مصدق هو الشخصية السياسية الاولى فى ايران كرجل وطنى يقف فى وجه الدول الاجنبية ، كما انه يحاول استرجاع ثروات ايران اليها ، واراد هذا المصلح أن يحقق حكما دستوريا لايران ، فشكلت لجنة برلمانية فى مارس سنة ١٩٥٣ لدراسة اقتراح بتحديد سلطات الشاه حتى يملك ولا يحكم ، وقد أدى هذا الاقتراح بتغيير الدستور الى انقسام اعضاء المجلس الى معسكرين ، ولما رفضت العناصر الموالية للشاه حضور المجلس ، لم يتسن وجود عدد كاف من الاعضاء لسن مثل هذا التشريع فاقترح الدكتور مصدق اجراء استفتاء شعبى ، وتمخض هذا الاستفتاء الذى اجرى فى ٣ من أغسطس سنة ١٩٥٣ عن فوز مصدق بمائة ألف صوت فى مقابل ٦٨ صوتا ضده .

وهنا تفتقت قريحة الشاه فى اقالة الدكتور مصدق وتعيين

الجنرال فضل الله زاهدي رئيسا للوزراء ، الا ان مصدق رفض الاقالة وفشلت محاولة الجنرال زاهدي في السيطرة على الموقف واختبأ لتوه ، بينما طار الشاه وزوجته الى بغداد ثم الى روما . . . . وهنا نادى الجماهير باعلان الجمهورية وحطمت تماثيل الشاه محمد رضا في ايران ، الا انه في صبيحة يوم ١٩ من اغسطس تحرك الجنرال زاهدي الى العاصمة بقواته ودباباته .

والقى القبض على الدكتور مصدق ، واعلان زاهدي الاحكام العرفية ، وعاد الشاه المذعور في ٢٢ من اغسطس ، وتكونت وزارة جديدة برياسة زاهدي .

وهنا تدخلت الحكومات صاحبة المصلحة لتؤمن حكم الرجعية في ايران ، فقدمت الحكومة الامريكية قرضا عاجلا قدره ٤٥ مليون دولار لكي تستطيع ايران تدعيم اقتصادها . وقد حكم على مصدق — بطل التاميم — بالحبس لمدة ثلاث سنوات (١) .

ولما استولى المحافظون على أعنة الحكم في لندن ، عالج رئيسهم تشرشل الموقف بدهائه المعهود ، فلم يسع الى الغاء التاميم حتى لا يؤلب الشعب الايراني عليه ، بل اشرك الشركة الانجليزية الايرانية بنصيب في قلب التاميم ، وحولت السياسة الانجليزية نزاع البترول الى الميدان الدولي حتى لا تقف وحدها في المستقبل اذا ما اصطدمت مع روسيا هناك . . . . وهكذا نشأ بايعاز من الحكومة الانجليزية احتكار دولي غربي جديد للبترول بالاشتراك مع الولايات المتحدة الامريكية وفرنسا ، وهولندا في ايران وبهذه الوسيلة حققت السياسة الانجليزية اهدافها .

حقا لقد خسرت الحكومة الانجليزية قضيتها ضد ايران في محكمة العدل الدولية سنة ١٩٥٢ فقد قضت هذه بأن الحكومة

---

(١) Iran, Richard N. Frye P. 100.

الانجليزية ليست طرفا في الاحتكار والحكمة غير مختصة بنظر  
الدعوى ، ولكنها نجحت في القاء شسباكها على ايران لتصبح في  
فطاق السياسة الغربية وذلك بمساعدة الشاه الموالي لهذه  
السياسة .

وهنا نجد مدى الفرق بين رضا شاه الأب ومحمد رضا  
الابن . . . ان رضا بهلوى فقد عرشه ، ونفى من بلاده لانه الفى  
امتياز الشركة الانجليزية الايرانية للبترول ، أما ابنه محمد رضا  
الشاه الحالى يملك سادته المستعمرين ويرضيهم على خساب وطنه  
حتى يحفظوا له عرشه ، وهو يتمادى في ذلك فيجاريهم حتى نهاية  
الشوط ، واذا كان اعترافه باسرائيل سينجلب عليه رضا سادته  
المستعمرين ، فانه جر عليه كره العرب والعالم الحر بل والايرانيين  
نفسهم .

## الفصل السابع

الملك داود

الملك داود





ليس من قبيل المغالاة ، ولا من المجافاة للواقع ان ننظر اليوم الى الحكم القائم فى طهران على انه زائل لا محالة ، واعتباره فى حكم المنتهى ان عاجلا او بعد حين . . . بل حتى لو امهله الاجل فترة اخرى فاطال من فترة احتضاره لاية علة من العلل ، فمما لا ريب فيه انه فقد مكانته الدولية بصورة لا رجعة فيها الا بتغيير جذرى فى النظام القائم . فحكومة الشاه الحالى تعتمد اعتمادا كبيرا فى تسيير دفة الامور على توجيهات استعمارية ، حتى انتهى بها الامر الى الاعتراف باسرائيل غير آبهة بما سيجره عليها ذلك من كره العالم الاسلامى بأسره فضلا على كره الايرانيين انفسهم . قل افلاطون : مجانين اذا لم نستطع ان نفكر ، ومتعصبون اذا لم نرد ان نفكر ، وعبيد اذا لم نجرؤ ان نفكر ، فلندع هؤلاء جانباً ولنحاول ان ندرس الموضوع دراسة نزيهة لنرى ان كان الشاه على حق او لم يكن عند ما أعلن اعترافه باسرائيل .

ولكن قبل ان نصدر حكماً على الشاه ينبغى ان نتساءل . . . ما قصة اسرائيل ؟

للإجابة على هذا السؤال لا بد أن نرجع الى الوراء . . . الى عام ١٨٩٦ عندما أصدر الكاتب النمساوى اليهودى تيودور هرتزل كتابه عن « الدولة اليهودية » فثار من الحماسة والاهتمام فى أوساط اليهود ما دفعهم فى العام التالى الى عقد مؤتمر عام لهم فى مدينة بال

بـسويسرا لوضع القواعد الاساسية لسياسة الصهيونية فى تحقيق  
فكرة الوطن القومى لليهود فى فلسطين ، ووسائلها التى تتلخص  
فى الاستيلاء على الارض او السيطرة على الصناعة بايفاد عمال  
الزراعة والصناعة اليها .

وفى اوائل القرن العشرين اتجه هرتزل الى السلطان  
عبد الحميد سلطان تركيا لينال موافقته على اتخاذ فلسطين وطنا  
قوميا لليهود ، وكاد هرتزل ينجح فى مساعاه لولا رفض اليهود  
الانجليز للثمن الذى طلبه السلطان . واراد الانجليز تعويضهم  
عن هذا الفشل بمنحهم وطنا فى اوغندا ، ولكن انتهى بهم الامر الى  
رفض هذا العرض امام المؤتمر الصهيونى السابع فى عام  
١٩٠٥ .

وعند ما قامت الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٤ ، كان  
اليهود حيارى يفكرون الى أية ناحية يتجهون ، حتى اذا دخلت  
تركيا الحرب الى جانب المانيا ، اتجهوا الى تقوية صلاتهم بالحلفاء  
عليهم ينالون منهم اذا ما انتهت الحرب بانتصارهم ما عز عليهم نواله  
من تركيا . ولكن اسكويث رئيس الوزارة البريطانية حين ذاك  
لم يكن ميالا الى تأييد الفكرة الصهيونية فأهمل مطالبهم واعرض  
عنها ، فقد كان يؤمن فى قرارة نفسه ان قيام وطن قومى لليهود فى  
فلسطين انما هو وهم من الاوهام ... ولكن لويد جورج الذى  
تولى الوزارة بعده استجاب لآمال الصهيونية ، ودفعه الى ذلك  
عاملان آمن بهما تماما ، عامل سياسى وآخر استراتيجى فاما العامل  
السياسى فهو لاستمالة اليهود فى المانيا والنمسا لتأييد الحلفاء ،  
أما العامل الاستراتيجى وهو الأهم فى نظر لويد جورج فهو  
الانفراد بالسيطرة على فلسطين واتخاذ الصهيونية وسيلة لذلك،  
وكان عليه ان يتيقن أولا تأييد الصهيونية لقبول الحملة البريطانية  
على فلسطين ... وأدرك زعماء الصهيونية ما يهدف اليه رئيس

الحكومة البريطانية فتجاوبوا معه واكدوا للسير مارك سيكس الذى كلفه لويد مفاوضتهم بأنهم يعترضون اعتراضا تاما على اقامة ادارة دولية فى فلسطين ولو كانت من فرنسا وبريطانيا وحدهما .  
وانهم سيعملون من الآن فصاعدا على وضع فلسطين تحت الحماية البريطانية اذا ايدتهم بريطانيا فى تحقيق امانيهم فى الوطن القومى .  
وكانت الخطوة التالية ان تنال الصهيونية تأييد فرنسا دون ما تعرض لشكل الادارة المقبلة فى فلسطين . . . وترددت فرنسا طويلا ثم قبلت أخيرا أن تصدر تصريحاً فى مصلحة الصهيونية .

وفى يوم ٢ من نوفمبر سنة ١٩١٧ صدر وعد بلفور وزير الخارجية البريطانية فى صورة خطاب الى زعماء الصهيونية . . . وجاء فى نص الخطاب « يسرنى كثيرا ان ابلغكم بالنيابة عن حكومة جلالة الملك انها تنظر بعين الرضا والارتياح الى انشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين ، وانها ستبذل خير مساعيها لتيسير الوصول الى هذه الغاية ، على انه يجب ان يفهم فهما صحيحا انه لن يسمح باجراء ما من شأنه ان يلحق الضرر بالحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية التى تقيم فى فلسطين او تمس الحقوق والمزايا السياسية التى يتمتع بها اليهود فى البلاد الاخرى » .

وصدر وعد بلفور فى هذه الصيغة التى وافق عليها الصهيونيون وقد راعى ان يكون لليهود وطن قومى فى فلسطين لا ان تكون فلسطينوطنا قوميا لهم كما كانوا يطالبون ان تكون صيغة وعد بلفور ، فان بريطانيا لم تشأ ان تلزم نفسها بتعهد قد يسيء الى مصالحها فى فلسطين .

واذا كان صدور وعد بلفور عام ١٩١٧ هو البداية النظرية لمشكلة فلسطين ، فان صدور قرار الانتداب البريطانى فى ابريل سنة ١٩٢٠ على فلسطين وموافقة عصبة الأمم عليه فى يولييه سنة ١٩٢٢ هو البداية الحقيقية والاخراج العملى لها .



وبرزت هذه المشكلة فى صورة نضال رهيب بين العرب الذين يدافعون عن تراثهم ومقدساتهم وبين اليهود المهاجرين . واتسم هذا النضال بقوة الدوافع الروحية والمادية للعرب . ولم يثر العرب فى فلسطين لسيئة من سيئات الانتداب البريطانى قدر ما ثاروا على توافد هذه الاعداد الهائلة من اليهود الى بلادهم ، فقد ظهر لهم جليا أن القصد منها هو تغليب اليهود على العرب بزيادة عدد النازحين الى فلسطين من اليهود حتى يفوق عددهم عدد العرب وتتم لهم السيطرة على البلاد بحكم كثرتهم العددية .

وعبر العرب عن قلقهم بصور مختلفة كالاحتجاجات والمظاهرات والمصادمات بينهم وبين اليهود ، الا ان سلطة الانتداب البريطانية استطاعت أن تقمع هذه الحركات الوطنية حتى كان عام ١٩٣٦ عندما قام أهل فلسطين عن بكرة أبيهم فى ثورة عارمة يحاربون الصهيونية وسلطة الانتداب معا . . وسرت فى البلاد العربية كلها موجة من الحماس الجارف لنصرة عرب فلسطين ومعونتهم ، وجاءت هذه الثورة نتيجة عاملين أولهما اشتداد الهجرة اليهودية فى الاعوام الاخيرة ، وكانت هذه الهجرة قد خفت بعض الشيء فى أثناء وقوع الازمة المالية التى عمت العالم بين الحربين ، ولكنها عادت ترتفع بعد عام ١٩٣٣ عندما اجتاحت الاضطهاد النازى فى المانيا طوائف اليهود وحملهم على الهجرة ، فكانت فلسطين موئلاهم الذى يفدون اليه . اما العامل الثانى فهو يؤس العرب من العدالة البريطانية وتحيز حكومة الانتداب لليهود وفشل اللجان التى اقترحتها الحكومة البريطانية لتحقيق أسباب ثورات العرب والوصول الى حل يرضيهم . . . واتحدت الاحزاب العربية فى هيئة واحدة برئاسة الحاج أمين الحسينى مفتى فلسطين عرفت باسم الهيئة العربية العليا ، ومن ثم بدأت ثورة عارمة فى ١٨ من ابريل سنة ١٩٣٦ عمت كلها جهات فلسطين ، وتقدمت الهيئة العربية العليا بمطالبها الى

المندوب السامي البريطاني ، وتتلخص هذه المطالب في وقف الهجرة اليهودية ومنع بيع الاراضي لليهود وقيام حكومة ديمقراطية في فلسطين . . ورفضت الهيئة وقف الثورة قبل اجابة هذه المطالب ، ولكن حكومة الانتداب التابعة لبريطانيا بدلا من ان تمنع الهجرة اليهودية سمحت بقبول مهاجرين جدد أكثر من العدد المقرر . واتخذت الثورة طابعا عنيفا حمل الحكومة البريطانية على التفكير في امرها ، فاعلنت عن تكوين لجنة برئاسة لورد بيل للتحقيق في اسباب الثورة على ان يستجيب الثوار للهدوء ، ولكن الثورة اشتدت عنفا . . . الى ان وقعت الثورة في الفخ واستجابت بعد توسط ملكي العراق والمملكة السعودية وأمير شرق الاردن . . . فأبحرت اللجنة الى فلسطين في ٥ من نوفمبر سنة ١٩٣٦ ، وفي اليوم نفسه أعلنت وزارة المستعمرات عن قبول مهاجرين يهود جدد خلال ستة أشهر قادمة بمعدل ١٨٥٠ مهاجرا كل شهر ، ومن ثم قادت الهيئة العربية العليا بمقاطعة اللجنة ، واستمرت في موقفها الى ان وقعت في الفخ الكبير الثاني عند ما استجابت للملكي العراق والمملكة السعودية وأمير شرق الاردن في الكف عن الثورة ومفاوضة اللجنة البريطانية . . . وهكذا ساهم هؤلاء الملوك في تثبيط ثورة عظمى كانت لو استمرت على ما هي عليه من العنف والعرامة لكان لمستقبل فلسطين العربية شأن آخر .

وعندما اشتعلت نيران الحرب العالمية الثانية في أول سبتمبر سنة ١٩٣٩ ، وجه الانجليز همهم للحرب التي تواجههم ، وان كانوا لم ينسوا هدفهم في تسليم فلسطين العربية لليهود ، وقدروا أنهم سيجعلون من اسرائيل تكأة لنفوذهم المتداعي في البلاد العربية ، ولا ريب ان العدوان الثلاثي على مصر في عام ١٩٥٦ لأقوى دليل على التحالف الانجليزي الاسرائيلي ، وعلى اعتراف اسرائيل بالجميل البريطاني ، وهكذا نجد ان مسئولية

بريطانيا كبيرة فى هذه الجريمة النكراء ، جريمة التسبب فى تشريد مليون عربى فلسطينى ، فقد كانت بريطانيا مدة ثلاثين عاما من عام ١٩١٨ الى عام ١٩٤٨ هى التى دبّرت عملية توطين اليهود واستيلائهم على موارد الثروة فى البلاد ، وهى فى النهاية التى امدتهم بالسلاح لمقاومة الدول العربية المحيطة .

وبعد انتهاء الانتداب البريطانى فى فلسطين عام ١٩٤٨ ، قامت الادارة البريطانية بتسليم فلسطين لليهود الذين نادوا بقيام دولة اسرائيل . . . وسرت فى البلاد العربية موجة من الحماس الجارف ، ودخلت الحرب فعلا ضد اسرائيل ، ولكن الموقف كان غريبا وشاذا ، فاسرائيل ما هى الا شرذمة من الارقاب اليهود ، ومن جنسيات عدة ، ولكن وراءهم وقفت دول استعمارية كاملة القوة رأت فى بقاء اسرائيل بقاء لنفوذها فى المنطقة ، ومن ثم قدمت هذه الدول المساعدات بسخاء لاسرائيل ، هذا بجانب القيام بالضغط المتواصل على العرب ، اما العرب فكانوا حين ذاك فى حالة يرثى لها ، فكلهم خاضعون للحكومات الرجعية حتى ان القائد الاعلى للقوات العربية حين ذاك كان الملك عبد الله ملك شرق الاردن والمعروف بخياناته الكثيرة للعرب والعروبة ، هذا بالاضافة الى ان اركان حربه كان الجنرال جلوب الانجليزى ، وكان الجميع لا يعرفون دور الانجليز فى قيام اسرائيل .

وانتهى الامر تلك النهاية المؤسفة . . . انتهى بأن كان للاستعمار ما اراد ، وقامت دولة اسرائيل على حساب مليون عربى فلسطينى طردوا من بلادهم وشرّدوا فى المناطق المحيطة .

لقد ادركت بريطانيا قبل ان يدرك احد ان العرب على ابواب نهضة توشك أن تجمعهم صفا وتوحدهم غاية ، ثم قدرت ما وراء ذلك من شر يصيبها حين يؤدى الى ضياع ما تستغله فى المستعمرات



في آسيا وأفريقية ، فتنهار بذلك إمبراطوريتها التي عاشت  
القرون على أشلاء ضحايا الاستعمار في آسيا وأفريقية ، قدرت  
بريطانيا كل هذا فديرت أمرها لتعوق هذه النهضة وتصدع وحدة  
العرب لتشتغلهم عنها بشيء من صنعها فرمتهم بهذا السرطان  
اليهودي .

على أن وزر هذه الجريمة لا يقع على بريطانيا وحدها ، فلم  
تزل الولايات المتحدة الأمريكية تبذل الجهد لاعانة اسرائيل بالمال  
والعتاد وهنا نتساءل . . . اذلك لان امريكا صليبية بالمعنى المنحرف  
الذي تفهمه اوربا من كلمة الصليب ، وهو ضرورة البطش بالعرب  
مسلمين ومسيحيين لتكون الغلبة كاملة لاوريا وحلفائها على اهل  
الشرق ؟

تزعم امريكا انها تؤيد الصهيونية لأن اليهود شعب مشرد  
غريب في كل وطن يأوى اليه ، فأرادت أن تلم شعبه وتصنع له  
وطنا يلوذ به ويلجأ اليه . . . فأين هذا المنطق الأمريكي ليعالج  
مشكلة مليون لاجئ عربي فلسطيني اقصتهم الصهيونية عن  
وطنهم ليستوطنه المشردون القدماء من يهود العالم . . . أقرى امريكا  
ستبحث عن وطن صفامي آخر تلجئهم اليه ؟ فالن أين تطرد اهل  
ذلك الوطن الاصليين ؟

وتقدمت اسرائيل تطلب الاعتراف بها من العالم ، فأعترفت  
بها دول واقعة تحت النفوذ الاستعماري ، ولم تعترف بها دول  
استظلت بالحق ولم يرضها هذا المنطق ، منطق طرد شعب بأسره  
من بلاده واحلال المشردين مكانه .

واذلت اسرائيل نفسها في طلب الصلح مع العرب دون



جدوى ، فالحصار الاقتصادي العربي المحيط بإسرائيل كان له أثره الكبير في المغلاء الفاحش في إسرائيل وإلى النقص في الطعام والمواد الضرورية للحياة ، وإلى القيود الكثيرة على الاستهلاك في البلاد ، وتبعث هذه الحالة حالة تدمير خطيرة بين الوافدين الجدد من اليهود على إسرائيل وبين سكانها غير المتعصبين للصهيونية وهم كثيرون ، واتخذت هذه الحالة مظهرا يهدد بتقويض حلم الصهيونية كله ، فقد تفشت بينهم رغبة قوية في العودة إلى البلاد التي نزحوا منها ، وشرع بعضهم فعلا في الرحيل مما أرغم حكومة إسرائيل على وضع قيود تحد من هجرة اليهود إليها ، ولا شك أن هذا القرار قد تطلب إصداره منها شجاعة ضخمة تحسد عليها .

وتلفتت إسرائيل ، فوجدت العرب متربصين بها من كل جانب ، فماذا تفعل ؟ إنها لا يمكن أن تنقل تجارتها إلى أوروبا . . . لأن أوروبا في غير حاجة إلى المصنوعات الإسرائيلية ، ومن جهة أخرى فإن تكاليف الشحن ستكون باهظة لبعد المسافة ، مما يؤدي إلى ارتفاع أسعار البضائع الإسرائيلية . . . وهكذا استجابت بريطانيا — الدولة الأم الحنون بالنسبة لإسرائيل — مرة أخرى وقامت بالضغط على الحكومات الرجعية القسرية لكي تعترف بإسرائيل وأن تقوم بالتبادل التجاري معها . . . . . وهكذا انتقاد شاه إيران الخاضع لأوامر بريطانيا واعترف بإسرائيل . . . . . الشاه الذي أراق ماء وجهه للاستعمار بعد أن حول إيران كلها إلى سجن كبير حبس فيه الأحرار ، نعم اعترف الشاه بإسرائيل معنasia الصلات الوثيقة التي تربط العرب بالإيرانيين منذ صدر الإسلام الأول . . . وهكذا سباهم الشاه باعترافيه بإسرائيل في تمكين اليهود من فلسطين وفي استقرارهم فيها ولو إلى حين .

وبهذا وبعد أن درسنا هذا الموضوع هذه الدراسة الاكاديمية  
قد وضحت لنا الاجابة الصحيحة عن هذا السؤال دون ما تجن  
او افتراء .. وان حكم الشاه المتداعي لن يصمد طويلا لان الوعى  
الثورى لدى الشعب الايرانى قد بلغ درجة كبيرة من الفطنة والذكاء  
ولن يسمح الشعب لحاكم ان يستغله مهما طالّت مدة حكمه ...  
ولكن ماذا سيكون مصير ايران ؟ ان الله وحده يعلم مصير هذا  
البلد ... الجذوة المتقدة تحت الرماد .



## الفصل الثامن

إلى  
آية  
المصير





نعم ، ماذا سيكون مصير ايران ؟ هل ستبقى الى الأبد تحت حكم الرجعية المستغلة ؟ هل ستبقى تحت حكم الاقطاع المتحالف مع الاستعمار ؟ هل ستبقى تحت حكم المارقين المتحالفين مع اسرائيل ؟ لا وألف لا ، فان تجارب التاريخ كثيرة وكلها تؤكد ان النصر دائما للشعوب وان النصر يكون دائما للحق .

ومما يدعو للدهشة انه كلما قام الشعب الايراني بانتفاضة ثورية ضد حكم الشاه الفاسد ، لجأت سلطات طهران الى ترديد نغمة معادة تقول ان الجمهوريّة العربيّة المتحدّة وراء الاضطرابات في ايران . وهذا في الواقع اتهام يبعث على السخرية والعجب . . . ان حكومة الشاه تعجز في اللحظات الحرجة عن اخفاء حقدّها على ما تحرزّه جهود الشعب العربي في ميادين الانتاج والتصنيع والتقدم . وتتصور حكومة الشاه انها لتوطيد علاقاتها باسرائيل ستنتقم لنفسها من الشعب العربي . . . ولكن ليس الشعب العربي نفسه هو الذي ندد بهذه العلاقات المشبوهة ، وانما الشعب الايراني المكافح هو الذي ردد الهتافات ضد انشاء علاقات مع اسرائيل وطالب بقطع هذه العلاقات فوراً .

ولكن ما جريرة الجمهوريّة العربيّة المتحدّة في حق حكومة الشاه ؟

جريرتها الوحيدة انها تصنع تجربة رائدة وتحرز التقدم في ميدان تحقيق الحرية السياسية والحرية

الاجتماعية ، وجريرة الشعب العربى ، انه ثار ضد الاحلاف العسكرية ، وانه رفع لواء الفضل المسلح ضد العدوان العسكرى وانه انهى عصر المغامرات الاستعمارية الى الابد ، وانه اأم القناة وأصدر قرارات يوليو الاشتراكية ، وانه يبنى فى العام الواحد أكثر من مائتى مدرسة و ١٥٠ مصنعا وانه يجعل التعليم اجباريا للجميع ، وانه يقطع خطوات هائلة مناضلة فى ميدان التقدم من أجل تحقيق مستقبل أفضل .

ولكن كيف يفعل الشعب العربى ذلك ، ويقدم للشعوب — ومنها شعب ايران — المثل والقوة فيؤلب الشعب ضد الشاه وفساده المعروف ويجعله يحبس بالتخلف الذى يعيش فى احضانه فيدفعه الى الثورة . ان الشعب العربى اذن — فى منطق الشاه — متهم باثارة المتاعب ضد الشاه وحكومته . وهذا منطق غريب . والاكثر منه غرابة ان الشاه يردده علنا وبدون استحياء او خجل . ويردد الشاه اتهاما آخر غريبا كل الغرابة . . . انه يقول ان الذين يثورون ضده هم الاقطاعيون والمتخلفون عن العصر ، ولسنا ندري هل يصدق احد هذا المنطق ؟ وهل يثور اقطاعى ضد اقطاعى . . لماذا ؟ ان الشاه من اكبر الاقطاعيين فى العالم ، وهناك واحد من الاقطاعيين فى ايران يملك اراضي تزيد مساحتها على مساحة سويسرا كلها . فلا يمكن أن يصطدم اقطاعى باقطاعى لان المصالح واحدة . وما يزعمه الشاه من انه يطبق برنامجا للإصلاح الزراعى ، ما هو الا محاولة لتفادى الثورة ، فضلا على انه برنامج زائف لتخدير الشعب ليس الا .

ان الثورة الشعبية مستمرة ضد حكم الشاه . . . والواقع ان ايران تمر الآن بالظروف التى مرت بها مصر ابان فترة حريق القاهرة سنة ١٩٥٢ ، فكما أحرق القصر والاستعمار والرجعية القاهرة فى ذلك الحين لتبرير اعلان الاحكام العرفية وفرض حكومة

معينة على الشعب والزج بالآلاف من أبنائه في السجون ، فإن الشيء نفسه حدث في طهران منذ أوائل يونيو سنة ١٩٦٣ ، وقد أدى الى النتائج التي لدى اليها حريق القاهرة

ان الشاه وحكومته يحاولان عرقلة سير التاريخ والوقوف في وجه الشعب ولكن الشعب أكد خلال نضاله المستمر انه اقوى من كل القوى الرجعية والاستعمارية التي تحاول التصدي لارادته . ومهما حاول الشاه الصاق التهم بالآخرين ، فإنه لن يستطيع تجنب النتيجة الحتمية التي تنتظره فانها حتمية التاريخ .

ويشرف الجمهورية العربية المتحدة ان يتهمها الشاه بانها وراء ثورة ايران . . . واذا كان التقدم الذي تحرزه في ميادين الانتاج والتصنيع تهمة فما احسنها تهمة .

وتفصيل الامر انه في يوم ٥ من يونيو سنة ١٩٦٣ احترقت طهران ونزلت قوات الجيش والبوليس بالدبابات والمصفحات الى الشوارع . . . وسقط مئات القتلى والجرحى برصاص الغدر ، وهتف الشعب الايراني المكافح بسقوط الدكتاتورية وبقطع كل علاقة مع اسرائيل ، وصدرت التعليمات بسحق الثورة بلا شفقة ولا رحمة ، وتحولت طهران الى ساحة قتال ، فأغلقت المتاجر ودور الحكومة ورايظت القوات العسكرية في الشوارع ، كما اصطفت قوات الجيش - المزودة بالدافع الرشاشة - امام قصر الشاه في سبعة صفوف لحماية ، وقطعت قوات اخرى جميع الطرق الرئيسية المؤدية الى القصر ودور الحكومة .

وفي وسط دواثر من القوات المسلحة ، أعلن الجنرال حسن بكروان مدير الامن - في مؤتمر صحفي - ان الرئيس عبد الناصر مسئول عن هذه الثورة !! ثم أعلنت الحكومة الاحكام العرفية وانطلقت قواتها في حركة اعتقالات واسعة .



وقد بدأت الاضطرابات التي وصفها المراقبون بانها اعنف مظاهرات معادية للشاه وحكومته منذ سقوط حكومة الدكتور محمد مصدق في عام ١٩٥٣ على اثر القاء القبض على الزعيم الديني روح الله خميتي ومساعدته السيد تقى فلسفى ونحو ٢٠ من اتباعهما .

وكانت سلطات البوليس قد اعلنت في يوم ٥ من يونيو منع المظاهرات الدينية عقب الاشتباكات التي وقعت في يوم ٤ من يونيو والقي القبض فيها على ١٣٠ من المتظاهرين ، ولكن نجمت مع بداية يوم ٥ من يونيو مظاهرات ضخمة في شتى أنحاء العاصمة الايرانية تهتف الهتافات التي اصبحت محفوظة وهي « تسقط الديكتاتورية » و « تسقط اسرائيل » .

وقد عقد رؤساء الادارات الخاصة بشئون الامن اجتماعا طارئا ، وصرح شاهانجير تفضلى ، احد وزراء الدولة عقب الاجتماع بقوله : ان جميع تدابير الامن الضرورية قد اتخذت . وصدر الامر بإطلاق النار على المتظاهرين ... واذا بالمظاهرات تتحول الى ثورة عارمة ، واشعلت الحرائق في منطقة السوق في قلب المدينة ، وهاجم الثوار مبنى وزارة الاقتصاد ودار الاذاعة ، وحطموا نوافذ وزارة الداخلية ، وحاولوا اشعال النار في دار جريدة « اطلاعات » الموالية للشاه .. وبدأ الضحايا يسقطون ، واذاغت المستشفيات ان اكثر من ٢٠ قتيلاً سقطوا بعد ساعة واحدة من نشوب القتال ، وقال شاهد عيان ان عدة مئات من المتظاهرين قد قتلوا ، واستمرت المعركة ، واذاغت وكالات الانباء ان الثورة امتدت الى مدينة مشهد في الشمال الشرقى من ايران .

وفي منطقة اخرى من طهران ، تحول موكب من مواكب الحداد الدينية التي تنظمها الشيعة في شهر محرم الى اجتماع سياسي ،

وشارك في الثورة ، وانضم اليه آلاف عدة من الناس واخذوا يطوفون بشوارع طهران ويهتفون بسقوط الشاه وحكومته . وهاجمتهم قوات البوليس المزودين بالقنابل المسيلة للدموع والمدافع الرشاشة والهراوات ، وقذف المتظاهرون سيارات البوليس بالحجارة ثم قلبوا سيارات الجيب التابعة للجيش وأشعلوا فيها النار .

وكان المتظاهرون الذين هاجموا دار الاذاعة قد تسلحوا بالقنابل اليدوية والمسدسات ، وفتحت قوات البوليس عليهم نيران مدافعها الرشاشة وتمكنوا من صد المتظاهرين مرتين بعد أن اوشكوا في كل مرة على الاستيلاء على دار الاذاعة .

وفي يوم ٦ من يونيو تجددت الاضطرابات العنيفة في ايران وامتدت حتى شملت عددا كبيرا من المدن الهامة ، وفشلت قوات الجيش والبوليس في وقف التيار الشعبى ، وقامت قوات الجيش بتطويق وسط العاصمة ، ولكن جماهير الشعب اقتحمت الحصار ، وحاولت اقتحام مبنى الاذاعة مرة ثالثة . وقامت قوات الجيش والبوليس باطلاق النار على المتظاهرين فسقط عدد جديد من القتلى . ومن ناحية أخرى شددت القوات حراستها على مقر الشاه ومكتب اسد الله علم رئيس الوزراء ، ولكن الشاه وزوجته فرح ديبا وولديهما هربوا الى قصر سعد اباد الذى يبعد عشرة كيلومترات الى شمالى طهران ، وقد صرح الرسمىون ان جميع افراد القصر الملكى انتقلوا ايضا الى سعد اباد فى ذلك اليوم .

وقالت صحيفة « اطلاعات » أن الشاه ظل يدير بنفسه العمليات العسكرية ضد المظاهرات المناهضة لحكومته .

وبالرغم من الاحكام العسكرية وفرض حظر التجوال ، فقد خرجت جامعة طهران فى مظاهرة كبيرة تأييدا للزعماء الدينيين واحتجاجا على اراقة الدماء ، ورفع طلبة الهندسة لافتة فوق مبنى

الكلية كتب عليها « يسقط الدكتاتور المتعطش لسفك الدماء » ،  
وسمعت طلقات المدافع الرشاشة فى جميع أنحاء العاصمة ، فى حين  
قامت قوات الجيش باخلاء منطقة السوق واغلقت مكاتب الحكومة ،  
وقامت قوات المظلات بتفتيش المدينة كلها لاعتقال قادة الثورة .

وقد دمرت كثير من المحال فى السوق تماما ، وظهرت ثقوب  
الرصاص فى أبواب المحال المغلقة ، ووقفت ثلاث وعشرون دبابة  
ثقيلة لحراسة مقر قيادة البوليس ووزارة الخارجية ، وارسلت  
تعزيزات لحراسة مبنى البريد فى الميدان العام فعززت بسبع  
دبابات ثقيلة اضافية وعدد من سيارات الجيب المزودة بالمدافع  
الرشاشة ، كما شددت الحراسة على وزارتى الداخلية والصحة  
التي ظهرت فيهما آثار طلقات الاعيرة النارية .

كما أعلن سلاح الطيران ان احد ضباطه قد قتل فى الاضطرابات  
التي وقعت فى طهران ، وكان هذا هو اول بيان تذيعه الحكومة  
عن مقتل احد رجالها .

وقد اضطر الشاه الى تغيير جهاز نجير تفضلى وزير الدولة  
المستول عن محطة الاذاعة ، التي كانت موضع هجوم المتظاهرين  
لثلاثة ايام متتالية ، وقد كانت الاذاعة تنيع بيانات متناقضة عن  
زعماء ورجال الدين ، كما اوقفت الاذان للصلاة .

وكان علماء الدين قد اصدروا منشورا يدعو الى الجهاد  
والحرب المقدسة ضد نظام حكم الشاه ، وقال البوليس انه يوالى  
البحث عن الزعيم الدينى الذى وقع المنشور وهو آية الله محمد  
بهبهانى لتقديمه الى المحاكمة مع نحو ١٥ زعيما دينيا . وقد أعلن  
اسد الله علم ، رئيس الوزراء ان ١٥ من كبار الزعماء المسلمين  
سيقدمون الى المحاكمة . وأشارت الاتباء الى ان المتظاهرين فى  
مدينة « توم » المقدسة الواقعة جنوبى طهران — وهم من انصار



الزعيم الدينى روح الله خمينى المعتقل الآن فى طهران - دعوا الشعب الى مقاومة قوات الحكومة والجهاد ضد رجال الجيش والبوليس المواليين للشاه .

وفى ٨ من يونيو تجددت الاضطرابات بشكل عنيف فى خمس مناطق متفرقة من طهران ، وكانت الحكومة قد اعلنت انها سحقته الثورة ، ولكن المظاهرات تفجرت مرة اخرى فى انحاء العاصمة الايرانية ، واصطدمت الجماهير الغاضبة بالقوات المسلحة . وهرع اصحاب المحال التجارية وهم فى حالة رعب الى اغلاق الابواب الحديدية لمحالهم ، ويدل استئناف اطلاق النار فى شوارع المدينة فى يوم ٨ من يونيو على ان عدد القتلى والمصابين فى ازدياد مستمر . وقد قدرت صحيفة « كيهان » عدد الضحايا فى المظاهرات ضد الشاه بالمئات وان عدد المصابين يبلغ ضعف عدد القتلى .

وكأنت اعنف المظاهرات ، تلك التى وقعت فى جامعة طهران ، وقد قامت صفوف قوات البوليس المزودة بالهراوات بضرب الطلبة وتفريق المظاهرات . . . وتقرر اغلاق جامعة طهران برغم ان الطلبة كانوا يستعدون للامتحانات

وفى يوم ٩ من يونيو ندد اسد الله علم رئيس الوزراء بدولة اجنبية لم يذكر اسمها ، وقال ان هذه الدولة هى التى سببت الاضطرابات الاخيرة فى ايران . . . كما جاء فى جريدة لوموند الفرنسية Le Monde الصادرة فى يوم ٧ من يونيو سنة ١٩٦٣ مقالة باسم « ايران . . او الجنوة القابلة للانفجار »

« لعل الحكومة قد القت على الاجنبى بمسئولية المظاهرات والاشتباكات لتخفى صعباتها الداخلية ، اذ ذكرت فى بيان غير واضح ولكن لا التباس فيه اسم الرئيس عبد الناصر كمسئول عن هذه المظاهرات » .



نعم كما قلنا ، ان الرئيس عبد الناصر والشعب العربى فى مصر قد آمن بالاشتراكية ، وآمن بالديمقراطية ، وآمن بالعزلة والكرامة ، وقد تبلورت الايديولوجية الجديدة فى الجمهورية العربية المتحدة عن نتائج بعيدة المدى ، فنحن نؤمن بتذويب الفوارق بين الطبقات سلميا وفى اطار من الوحدة الوطنية ، وفى هذا ما فيه من تطبيق لمبدأ تكافؤ الفرص للجميع ، فإله قد جعل مبدأ تكافؤ الفرص أساسا للحياة فى الدنيا وأساسا للحساب فى الآخرة ولا ريب أن الثورات التى قامت فى العراق واليمن وسورية وأفريقية وآسيا ، كل هذه الثورات إنما هى امتداد للثورة المصرية العظيمة فى يولية سنة ١٩٥٢ ومن هنا كانت مسئولية الرئيس عبد الناصر عن ثورات ايران فالشعب الايرانى كما قلنا يتطلع الى حياة أفضل، فوجد النظام المثالى فى الجمهورية العربية المتحدة فأراد ان يقتبس منه ، أراد أن يقتبس الحرية بأوسع معانيها . . الحرية السياسية والحرية الاجتماعية ، فان الديمقراطية بدون الاشتراكية إنما هى وهم من الاوهام ، والاشتراكية مع الديمقراطية هما جناحا الحرية التى تستطيع بها أن تحلق الى الآفاق العالية التى تتطلع اليها جماهير الشعب .

وتستمر جريدة لوموند فى المقالة نفسها قائلة « بيد أن المشكلات الداخلية وتعارض المصالح والشقاق السياسى والبؤس الاجتماعى المتعذر القضاء عليه والرجعية والتخلف اللذين يبقين عليهما بحرص أنصار الوضع الراهن . . . كل هذه العوامل تكفى تماما لتفسر حالة الغليان هناك » .

ومن المتعذر هنا ان نرى كيف يتمكن الشاه من الحصول على مساعدة الجبهة القومية ، اذا لم يوافق على مطالبهم الخاصة باجراء انتخابات حرة واقامة حكومة شعبية منتخبة تتمتع بسلطة حقيقية

وقطع كل العلاقات بجميع صورها مع اسرائيل ، ان لم يظهر بالتأكيد ما يدل على رغبة في التخلي عن المبدأ الديجولى الخاص باستمداد سلطته من الشعب مباشرة .

وعلى أية حال ، فان أيام الشاه أصبحت معدودة ، فانصياعه للاستعمار وتنكيله بالوطنيين ، وتحويل ايران الى سجن كبير ، قد افقد ثقة الشعب الايرانى فيه . ويتطلع هذا الشعب المكافح الآن والامل يحدوه في ان يهب الله له بطلا يتقدم الصفوف ، ويقوده من الهزيمة الى النصر ومن اليأس الى الامل ومن العدم الى الحياة ، قائد يرفع الشعب ولا يرتفع على راسه ، يتكلم ولا يخاف ، ويقود الشعب الايرانى الصديق الى حياة العزة والكرامة . . . ويبدل المجتمع الايرانى من مجتمع السادة والعبيد الى المجتمع الديموقراطى الاشتراكى التعاونى .

## تحليل حركة الملاحة في القناة

خلال شهر يونية سنة ١٩٦٣

### الحركة الملاحية :

زاد عدد السفن التي عبرت القناة خلال يونية ١٩٦٣ على تلك العابرة خلال نفس الشهر من عام ١٩٦٢ بمقدار ٧٢ سفينة أي بنسبة ٤٧٪ ، فقد بلغ عدد السفن العابرة خلال يونية الحالي ١٦٠٧ سفن مجموع حمولتها الصافية ١٧٩٢١٧٠٠ طن بمتوسط يومي قدره ٥٣٦ سفينة مقابل ١٥٣٥ سفينة حمولتها الصافية ١٦٢٧٤٧٧٠ طنا بمتوسط يومي قدره ٥١٢ سفينة في يونية ١٩٦٢ .

وقد عبرت القناة من الشمال الى الجنوب خلال يونية الحالي ٨٠٠ سفينة مقابل ٧٤٠ سفينة في يونية الماضي بزيادة قدرها ٦٠ سفينة ، وذلك لزيادة عدد السفن الفارغة بمقدار ٢٤ سفينة ( ٣٧٩ مقابل ٣٥٥ ) والسفن المحملة بمقدار ٣٦ سفينة ( ٤٢١ مقابل ٣٨٥ )

أما السفن العابرة من الجنوب الى الشمال فقد بلغت ٨٠٧ مقابل ٧٩٥ بزيادة قدرها ١٢ سفينة ، ويرجع ذلك الى زيادة عدد السفن الفارغة بمقدار ٤ سفن ( ٤٣ مقابل ٣٩ ) والسفن المحملة بمقدار ٨ سفن ( ٧٦٤ مقابل ٧٥٦ ) .

## الحمولة الصافية :

سجلت الحمولة الصافية للسفن العابرة بقناة السويس خلال  
يونية ١٩٦٣ زيادة قدرها ١٦٤٧٠٠٠ طن أى بنسبة ١٠٪ وذلك  
بمقارنتها بحمولة يونية ١٩٦٢ ، حيث بلغ مجموعها خلال الشهر  
الحالى ١٧٩٢٢٠٠٠ طن مقابل ١٦٢٧٥٠٠٠ طن فى يونية الماضى .

وبتقسيم الحمولة الصافية طبقا لاتجاهى العبور يتضح انها قد  
زادت بالنسبة للسفن العابرة جنوبا بمقدار ١١١٢٠٠٠ طن أى  
بنسبة ١٤٢٪ ( ٨٩٥٢٠٠٠ طن فى الشهر الحالى مقابل ٧٨٤٠٠٠٠  
فى يونية الماضى ) وذلك نتيجة لارتفاع الحمولة الصافية لجميع  
أنواع السفن عدا سفن البريد .

كما زادت بالنسبة للسفن المتجهة شمالا بمقدار ٥٣٥٠٠٠ طن  
أى بنسبة ٦٣٪ ( ٨٩٧٠٠٠٠ طن مقابل ٨٤٣٥٠٠٠ طن ) ويرجع  
هذا الى ارتفاع الحمولة الصافية للناقلات المحملة .

وقد ارتفع المتوسط اليومى للحمولة الصافية من ٥٤٣٠٠٠  
طن فى ١٩٦٢ الى ٥٩٧٠٠٠ طن فى يونية ١٩٦٣ .

وبتحليل الزيادة المسجلة فى الحمولة الصافية للسفن التى  
عبرت القناة خلال الشهر الحالى بين السفن المحملة والفارغة  
والحربية مقارنة بمثيلاتها فى يونية ١٩٦٢ يتضح الآتى :

|               |              |
|---------------|--------------|
| السفن المحملة | + ٦٧٢٠٠٠ طن  |
| السفن الفارغة | + ٩٦٠٠٠٠ طن  |
| السفن الحربية | + ١٥٠٠٠ طن   |
| المجموع       | + ١٦٤٧٠٠٠ طن |



## حركة الناقلات العابرة خلال شهر يونية ١٩٦٣

سجلت الناقلات العابرة خلال شهر يونية ١٩٦٣ زيادة عددية على تلك العابرة في يونية ١٩٦٢ بمقدار ٥٨ ناقله أى بنسبة ٧٥٪ ، حيث بلغ عدد ناقلات الشهر الحالى ( ٨٢٨ ناقله مقابل ٧٧٠ ناقله ) فى يونية الماضى .

وبتقسيم الناقلات عدديا حسب اتجاه العبور يتضح أنه قد عبرت القناة من الشمال الى الجنوب ٤٠١ ناقله مقابل ٣٦٩ بزيادة قدرها ٣٢ ناقله ، يرجع هذا الى ارتفاع عدد الناقلات الفارغة بمقدار ٢٥ ناقله ( ٢٦٢ ناقله مقابل ٣٣٧ ناقله ) والناقلات المحملة بمقدار ٧ ناقلات ( ٣٩ ناقله مقابل ٣٢ ناقله ) .

وبالنسبة للناقلات المتجهة شمالا فقد زاد عددها بمقدار ٢٦ ناقله ( ٤٢٧ ناقله مقابل ٤٠١ ) وذلك نتيجة لارتفاع عدد الناقلات المحملة بمقدار ٢٥ ناقله ( ٤١٤ ناقله مقابل ٣٨٩ ناقله ) أما الناقلات الفارغة فزادت بمقدار ناقله واحدة ( ١٣ ناقله مقابل ١٢ ناقله ) .

وزادت الحمولة الصافية للناقلات العابرة فى يونية الحالى بمقدار ١٥٨٠٠٠٠ طن أى بنسبة ١٣٦٪ حيث بلغت خلال الشهر الحالى ١٣١٨٠٠٠٠ طن مقابل ١١٦٠٠٠٠٠ فى يونية ١٩٦٢ وتمثل الحمولة الصافية للناقلات نسبة قدرها ٧٤٪ من مجموع الحمولة الصافية لأسفن العابرة خلال يونية من العام الحالى بينما كانت هذه النسبة ٧١٪ فى يونية من العام الماضى . وقد ارتفع متوسط الحمولة الصافية للناقله من ١٥٠٦٥ طنا فى يونية ١٩٦٢ الى ١٥٩١٨ طنا فى ١٩٦٣ .

كما بلغ متوسط كميات المواد البترولية المنقولة على كل ناقله محملة ٢٨١٤٩ طنا فى يونية الحالى مقابل ٢٦٨٣٥ طنا فى الماضى .

# فهرس

www.iranicaonline.com

| الموضوع                                   | الصفحة |
|-------------------------------------------|--------|
| مقدمة                                     | ٥      |
| <b>الفصل الاول :</b>                      |        |
| المعالم الجغرافية والسكان                 | ٩      |
| <b>الفصل الثانى :</b>                     |        |
| ايران عبر عصور التاريخ                    | ٢٥     |
| <b>الفصل الثالث :</b>                     |        |
| القومية الحديثة والتنافس الدولى على ايران | ٥٧     |
| <b>الفصل الرابع :</b>                     |        |
| ايران والحرب العالمية الاولى              | ٧٥     |
| <b>الفصل الخامس :</b>                     |        |
| رضا شاه بهلوى                             | ٨٧     |
| <b>الفصل السادس :</b>                     |        |
| ايران وحتمية التاريخ                      | ١٠١    |
| <b>الفصل السابع :</b>                     |        |
| الشاه واسرائيل                            | ١٢١    |
| <b>الفصل الثامن :</b>                     |        |
| الى أين المصير                            | ١٣٣    |

الذات القومية للطبائفة والنشئة  
فرع الساحل



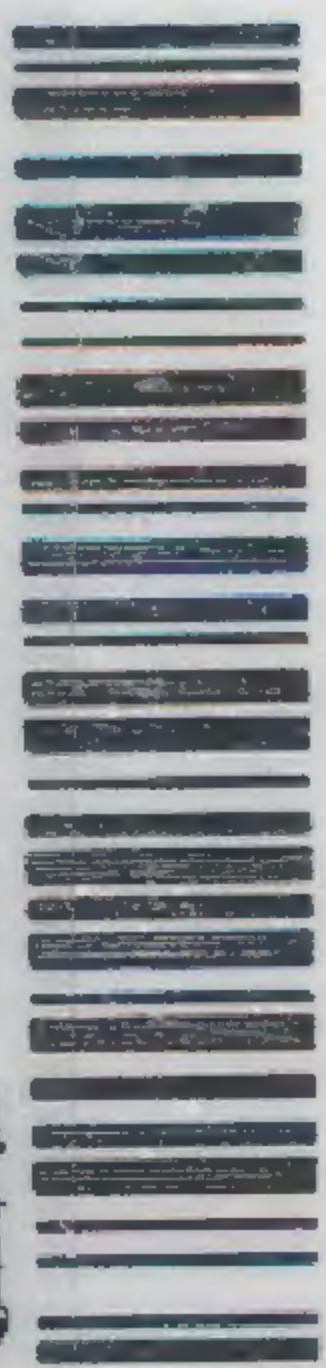




# الدار القومية للطباعة والنشر

العدد ٣٤٣  
التمن ٥ قروش

Bibliotheca Alexandrina



0674995